



(مشروع النهضة)

الجغرافيا والحلم العربي القادم

جيوبوليتيك

عندما تتحدث الجغرافيا

د. جاسم سلطان

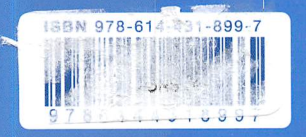


د. جاسم سلطان

حين انطلق مشروع النهضة عام ٢٠٠٤ كان الظلام مخيماً والشعور باليأس طاغياً ولم يكن هناك إلا القلة المؤمنة بإمكان انبثاق عصر جديد في الزمن المنظور.. ومع تدفق المياه من تحت الجسور، انتشرت روح التفاؤل وضعف سؤال: هل نستطيع إيجاد نقطة الانطلاق، ليولد سؤال كيف ننطلق... ومشروع النهضة الذي بدأ بكتاب من الصحوة إلى اليقظة مبشراً بعصر جديد و بضرورة إيجاد التحولات الفكرية المناسبة لاستقبال مرحلة جديدة من عمر الأمة، يتقدم اليوم خطوة أخرى للأمام ليلتقي بأسئلة المرحلة وتطلعاتها ويعانق أشواق الملايين من أبناء الأمة التي شعرت بعمق المرحلة الاستراتيجية، والتي لا تقل تعقيداً عن سابقتها، وفيها تتصارع اتجاهات مختلفة.. منها من يزرع الأمل وإمكان العمل ومنها من يزرع اليأس والإحباط ويريد أن يعود بعجلة الزمن إلى الوراء وفي خضم كل ذلك نجد أن دور كل المهتمين بالنهضة والمساهمين في صناعتها لا زال ضرورياً وحساساً لمواصلة المسير.. فطريق الألف ميل قد بدأ بخطوة كبيرة هي افتكاك مصير جديد، ولكنها خطوة أولى، وما زالت معارك الفكر والعلاقات والمشاريع قائمة بين جديد يريد أن يولد من رحم التخلف، وبين قديم يائس يريد وقف عجلة التاريخ.

إن قصة التقدم باستمرار هي صراع بين عصر آفل يرفض الاستسلام وعصر جديد قادم يحاول أن يضع رجليه على الطريق ليبدأ مرحلته وعصره.. ومشروع النهضة لا زال وفياً لتلك التطلعات بعصر جديد نخترق به عالم الأفكار الميتة، ونضع فيه بذور الأفكار الحية مع ملايين الحالمين العاملين في الساحة، الذين وثقوا في نصر الله وتأييده، وغادروا مقاعد المتفرجين لصناعة غد زاهر لكل إنسان، واستشعروا مسؤولية (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين). مهمة لا زالت تنتظر أبطالها الذين فَقهوا معنى الرحمة ومعنى خدمة العالمين كل العالمين ...لهذا ولدت سلسلة ادوات قادة النهضة..لصناعة عقول أولئك الأبطال، الذين يحملون مشاعل النور مع كل البشرية العادلة، ولأجل كل البشرية العادلة.

وهذا الكتاب هو الثامن في سلسلة أدوات القادة، حيث نستكمل فيه بعض أسس التفكير في الواقع، من خلال النظر لدور الجغرافيا في تشكيل القرار السياسي، وهو بُعد في غاية الأهمية لمعرفة العالم كما سيتضح من قراءة هذا الكتاب.


ISBN 978-614-431-899-7



الجغرافيا والحلم العربي القادم

الجغرافيا والحلم العربي القادم



عندما تتحدث الجغرافيا



الجغرافيا والحلم العربي القادم



عندما تتحدث الجغرافيا

د. جاسم سلطان

تأليـــف

د. جاسم سلطان

مدير المشـروع

جمال المليكي

المتابعة والتنسيق

احمد درويش

إخــراج فنـــي

سامر حمادة

تصميـم وطباعة



Beirut- Lebanon
Tel/fax : + 961 1 82 04 34

الناشـــــــر

تمكين للأبحاث والنشر
لبنان - بيروت

الطبعة الأولى: يناير 2013

ISBN 978-614-431-899-7



Tel: 00 961 70 895558
E-mail: dtamkeen@gmail.com

الفهرس



أما قبل ...

بليغة هي الجغرافيا عندما تحدثك دون وسيط.. في ثنايا هذه الصفحات ستسمع صوتاً وترى صورة تتحرك ولن تقرأ فحسب.. ستصالح علماً لربما خاصمته يوما ما بسبب ناقل نقله لك بجفاف.

يفسر لك هذا الكتاب كثيراً من قضايا السياسية المعقدة والمتداخلة ، بل يُنمي لديك ملكة القدرة على التحليل والتفسير للأحداث والتحركات المحلية والإقليمية والدولية.

ضمن سلسلة أدوات القادة في مشروع النهضة تأتي أداة الجغرافيا، ليصبح القائد بها أكثر قدرة على فهم التاريخ، وأعمق قراءة للواقع، وأدق تنبؤاً في استشرافه للمتسقبل، فيصبح بذلك أكثر فاعليةً وأقدر على المساهمة في صناعة النهضة.

الناشر

تمكين للأبحاث والنشر





المقدمة

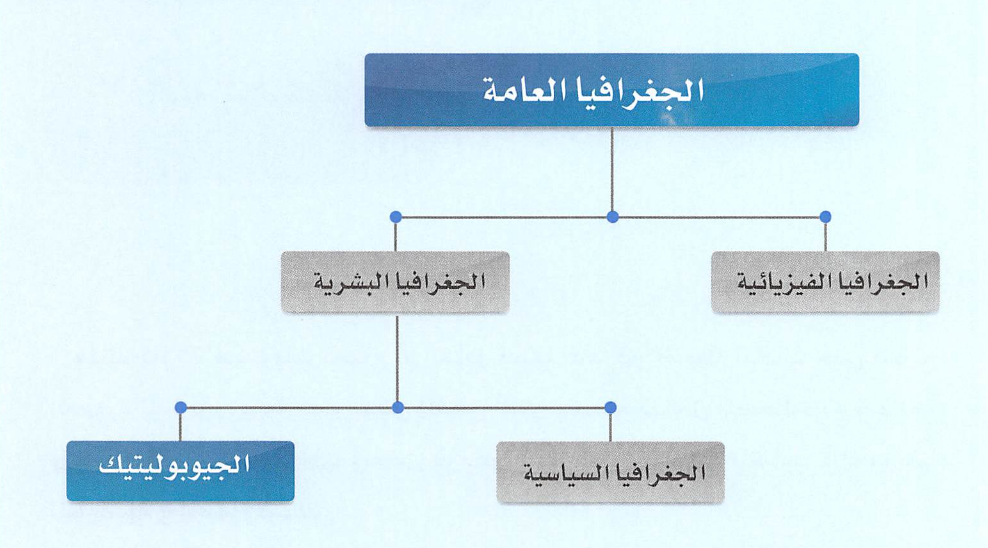
هناك ثلاثة مستويات نحتاج أن نمايز بينها عند قراءة هذا الكتاب حتى تتضح الصورة للقارئ، ويزول عنه بعض اللبس الذي يحدثه تداخل المصطلحات، وخاصة ونحن نتكلم عن الجغرافيا وبعض فروعها التي تعنينا في هذا الكتاب، كالجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك.

ولنقف أولا مع الجغرافيا العامة كمصطلح، وهو علم دراسة الأرض وما يتعلق بها كالتضاريس والمناخ والتربة والنبات والحيوان والسكان، والموارد البشرية والموارد الطبيعية، وحين ننظر إليها سنجدها تنقسم إلى قسمين مهمين:

الأول: هو الجغرافيا الفيزيائية، وتندرج فيها دراسة قشرة الأرض ودراسة المياه على سطح الأرض وتحته، ودراسة الغلاف الجوي المحيط بالأرض وعلاقته بها، ودراسة التربة وتكوينها، ودراسة الحياة النباتية والحياة الحيوانية على الأرض.

الثاني: هو الجغرافيا البشرية (المجتمع البشري وعلاقته بالأرض) في جوانبه السكانية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وحين نتطرق لجوانبه السياسية سنجد أنفسنا أمام فرعين مهمين:

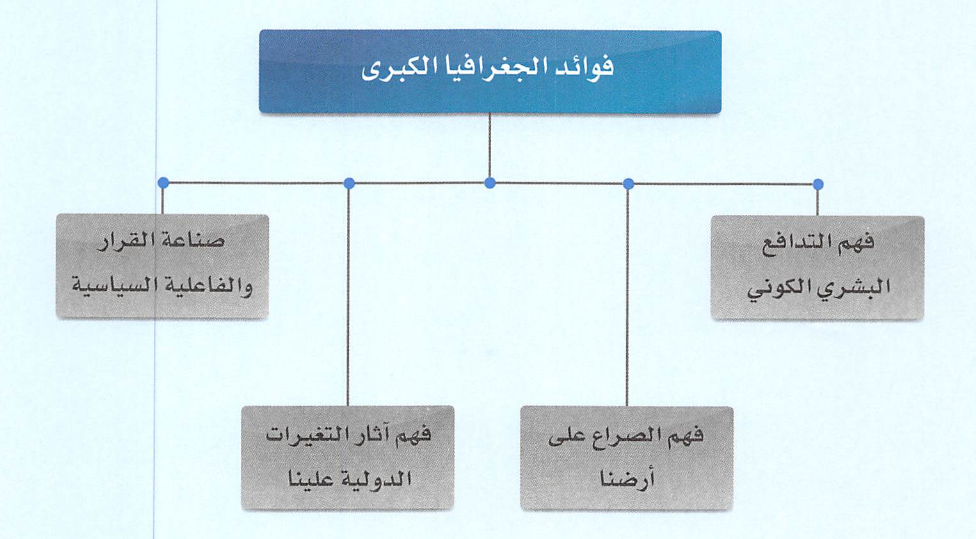
- الجغرافيا السياسية، وهي تدرس الدولة باعتبارها الوحدة السياسية المنظمة التي تخضع لحكومة، وبالتالي علاقة تنظيمها وسيادتها، وعلاقة الجزء الحكومي بالمدني.
- والجيوبوليتيك، وهو الجزء الذي يدرس علاقة الدولة بمحيطها المحلي والعالمي، وعلاقة ذلك بتحركاتها وسياستها الخارجية، ونظريات هذا الفرع وعلاقتها بتنظيم المشهد الدولي.



ورغم أن كثيراً من الناس لا يجد المتعة في دراسة الجغرافيا نتيجة الخبرة السالبة مع طرق التدريس التقليدية، نؤكد على أن دراسة الجغرافيا يمكن أن تجمع الفائدة والمتعة معاً، وعندما نقول الفائدة فنحن نعني الكلمة تماماً، ولننظر للقضايا التالية:

- معرفة كيفية صناعة القرار الدولي وتحركات القوى العالمية على المسرح، ومصائر الدول يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالجغرافيا السياسية، وخاصة منظور الجيوبوليتيك.
- من جراء السياسات العالمية. تم تشريد الملايين من أبناء الشعب العربي، وتعطلت عمليات التنمية، وخاضت المنطقة حروباً مدمرةً وما زالت في دائرة النزاع العالمي، ولا يمكن فهم المنطقة ومستقبلها دون دراسة الجيوبوليتيك.
- الصراعات الدولية لم تعد اليوم شأناً محلياً، فهي تلقي بظلالها على كل العالم. فهي تعيد صياغة العالم باستمرار، وتعيد تنظيم توزيع القوى العسكرية والقوى الاقتصادية والتحالفات وفهمها لا يكون مستقيما إلا بفهم الجيوبوليتيك.
- الدولة القُطْرِيَّة اليوم لا تستطيع أن تعيش عالمها وتحمي نفسها وترتب أوراقها وتحالفاتها وتحصل على احتياجاتها من العالم دون فهم بنية الصراعات وعلاقتها بالجغرافيا.

أما المتعة في دراستها فسنجتهد أن نكسر الرتابة بمقاربات حية تعيد رسم المشهد بطريقة قابلة للتذكر ومحفزة للقراءة.





تمهيد

موقع الكتاب من سلسلة أدوات القادة

والكتاب هو الثامن في سلسلة إعداد قادة النهضة. فنحن قد رسمنا في الكتاب الأول (من الصحوة إلى اليقظة) صورة المشهد الذي يجب أن نغادره، والمشهد الذي يجب أن نسعى إليه، وشكلنا صورة للمستقبل المرغوب والذي سيعكس بداية الدخول لدورة حضارية جديدة. وفي الكتاب الثاني وهو (قوانين النهضة) سطرنا عشرة قوانين للتقدم، وسلطنا الضوء على أهم ما يجب أخذه في الاعتبار عند عملية الإقلاع الحضاري بالمجتمع. وأتبعنا ذلك بكتاب (فلسفة التاريخ) وشرحنا فيه أهم ما يجب تذكره من نظريات طرحها مفكرو النهضة، وتعنينا في مسيرتنا.

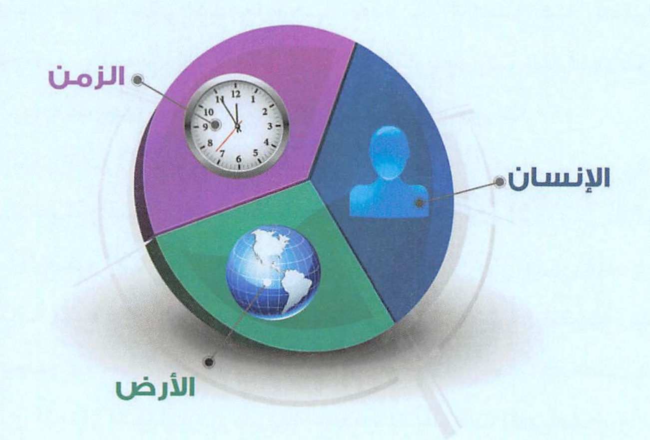
ثم أتبعنا ذلك بكتاب (الذاكرة التاريخية) وهو يشرح المفصل الذي توقفت عنده الحضارة الإسلامية، وأسباب التوقف مقارنة بأسباب الإقلاع الأوروبي في المقابل. ثم تبع ذلك كتاب (التفكير الإستراتيجي) لنرسم به تصورا عن دور الفكر الإستراتيجي في صناعة النهضات. وتبع ذلك كتاب (قواعد في الممارسة السياسية) لنتجاوز به المقاربات النظرية التاريخية، ونضع به أمام الراغبين في خدمة الأمة وصناعة مستقبلها قواعد مبسطة لمتخذي القرار السياسي، وطريقة حساب التحركات السياسية. وأتبعنا ذلك بكتاب (خطوتك الأولى نحو الاقتصاد) لنتناول الاقتصاد الكلي، وفهم العالم وأفكاره الاقتصادية بطريقة بسيطة، وهو أمر ضروري للعاملين بمشروع نهضة الأمة.

وبذلك نكون قد رسمنا الرؤية ووضعنا أسس التفكير في الواقع. وها نحن نستكمل بعض أسس التفكير في الواقع من خلال النظر لدور الجغرافيا في تشكيل القرار السياسي، وهو بُعد في غاية الأهمية لمعرفة العالم كما سيتضح من قراءة هذا الكتاب.

والكتاب يحتوي على قسمين: يعتني القسم الأول بالمقدمات النظرية للعلم ووضعه في سياق حركة العالم عبر التاريخ. والقسم الثاني ينظر في موضوع الجيوبوليتيك، وما يتعلق بالمنطقة العربية ومحيطها الإسلامي من تصورات واحتمالات.

الجغرافيا السياسية

الجغرافيا السياسية فرع من فروع الجغرافيا البشرية، وهي تنظر للعالم من حيث علاقة الجغرافيا بالسياسة. والإنسان والأرض والزمن هي الأبعاد الثلاثة الكبرى للجغرافيا. فالإنسان بأفكاره وأحلامه وطموحاته وقدراته، هو صاحب القرار الذي يعاظم من قيمة العنصر الثاني، وهو الأرض كمساحة وموقع وتضاريس، وشكل ومناخ، ونبات وحيوان. فحين يلتقي الإنسان بالأرض ومعطياتها وتحدياتها، تبرز قدراته الإبداعية، وبقدر قوته الإبداعية واستجاباته، يتموضع في التاريخ تقدما أو تخلفا.



الأبعاد الثلاثة الكبرى للجغرافيا

والقوة وتوزيعها بين أطراف الفعل السياسي، هي جوهر السياسة، وبالتالي كل عنصر من عناصر الجغرافيا، قد يضيف أو يضعف من قوة الدولة كفاعل سياسي.

والجغرافيا السياسية تحاول أن تفهم توزيعات الظاهرة السياسية على وجه الأرض من زاوية، وبوصفها من زاوية أخرى، ومن زاوية ثالثة تدرس علاقة الظاهرة السياسية بالمكان.

وبمعنى بسيط تنظر الجغرافيا السياسية للعالم كبقع قوة، تنظر لتراتبيتها والأدوار التي تلعبها، وتعتني بتوصيف كل بقعة سياسية لتزن قوتها، وتنظر لأثر الجغرافيا على ممكنات الدولة وحركتها التاريخية.

وللجغرافيا السياسية أهمية كبرى في السياسة الداخلية، فبناء على فهمها توضع القرارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والتي عليها المعول في تحقيق تطلعات الشعوب. للوجود والاستقرار والتنمية. كما أن في ضوئها تدرس مشاكل الحدود، وبالتالي المشاكل البينية بين الدول.

وتقوم الجغرافيا السياسية كذالك بدراسة المشكلات الاستراتيجية للدول، كدراسة مشكلة الدول المخنوقة، والتي تتنفس من مسار ضيق كروسيا، وعدم توفر موانئ على المياه الدافئة إلا ميناء يتيم على البحر الأسود، والدول الحبيسة، مثل أفغانستان وسويسرا، حيث لا منافذ بحرية لها.

وتعتني الجغرافيا السياسية بالمعلومات والإحصاءات الدقيقة للموارد الدولية، والأنشطة الاقتصادية المؤثرة في السياسة الدولية.

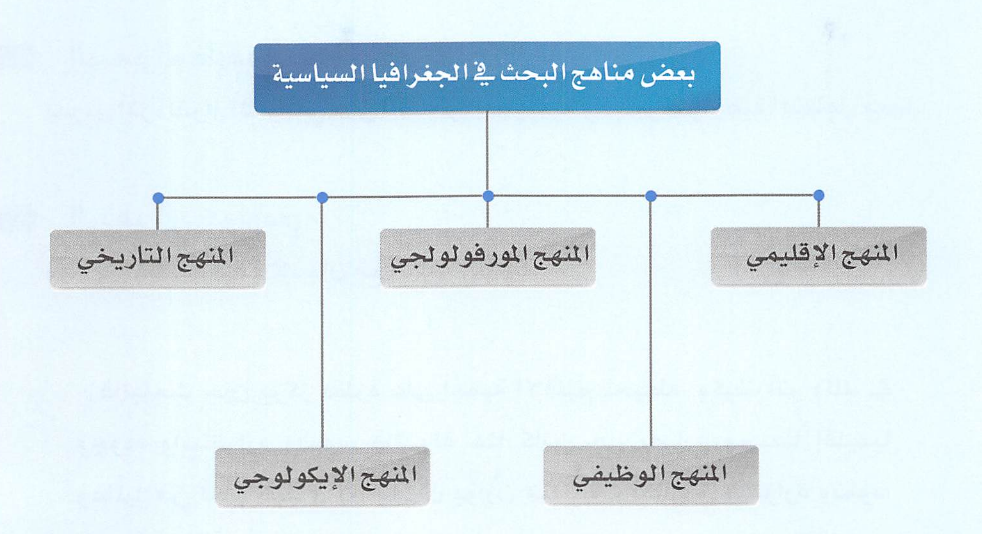


وظائف الجغرافيا السياسية

الجيوبوليتيك

إذا كانت الجغرافيا السياسية تصف وتستنتج عوامل القوة والضعف كما هي في الحاضر، فالجيوبوليتيك تمثل ضمير الدولة وطموحها، واحتياجاتها ومصالحها في المستقبل، وكيفية حمايتها والمحافظة عليها، فهي بالتالي مفتاح السياسة القومية. فدولة مثل مصر بسكانها يمكن توصيف نقاط قوتها وضعفها اليوم، وهذا دور الجغرافيا السياسية. أما رؤيتها المستقبلية وآمالها واحتياجاتها ومصالحها، والتي تتعدى حدودها، فهو الدور الذي تلعبه الجيوبوليتيك. إنها النظرة للمصالح القومية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

بعض مناهج البحث في الجغرافيا السياسية



المنهج الإقليمي:

يدرس هذا الاتجاه البيئة الجغرافية لا لذاتها ولكن لتأثيرها على البشر وتجانسهم. وتهدف لإبراز الشعور القومي عبر إيضاح الأهمية السياسية والاقتصادية للإقليم، وكذلك إيضاح التحديات التي جابه الإقليم، كمد الطرق وإنشاء الموانىء والمطارات وبناء الجسور والخزانات، وإصلاح الأراضي البور، والعناية الصحية والتلوث ونمو السكان، ومشاكل التعليم والفقر والبطالة والغذاء وكيفية وضع الحلول لهذه المشاكل بصورة اقتصادية ووفقا لمكنات الإقليم.

المنهج التاريخي:

وهنا تركز المدرسة على كيفية تأثير البشر وثقافتهم وتدخلها لتغيير مظاهر سطح الأرض الطبيعي، مثل موقع العاصمة ومواقع المناطق الحيوية (في الداخل) والحجم والحدود وتركيبة الظاهرة السياسة، وتقسيمات الإقليم (في الخارج).

المنهج المورفولوجي (دراسة الشكل):

تهتم هذه المدرسة بتتبع شكل الإقليم عبر التاريخ لتصوغ استنتاجاتها.

المنهج الوظيفي:

يدرس أثر القرار السياسي على الظاهرة الطبيعية والبشرية ونوعية التفاعل معها.

المنهج الإيكولوجي:

ويدرس كيفية تكيف الإنسان مع البيئة الطبيعية.

فالباحث حين يركز نظره على أهمية الإقليم لمحيطه، وكيف أثر ذلك في وجوده واستقراره ونموه، فالدولة هنا كائن حي يصارع محيطاً إقليمياً وعالمياً من أجل البقاء، يحاول أن يوازن متطلبات بقائه واستقراره ونموه، بمتطلبات الآخرين وبقائهم واستقرارهم ونموهم. وهذا الصراع تستخدم فيه عبر التاريخ كل الوسائل السياسية من القوة الناعمة إلى القوة الصلبة، ويمر بتقلبات كثيرة تشكل شخصيةالإقليم وهويته وطموحاته، وتنعكس على خططه وبرامجه.

الجيوبوليتيك

وحينها يبدأ دور الجيوبوليتيك لتحديد طموحات الدولة، وضرورات وجودها واستقرارها ونموها، بشكل يتجاوز حدودها ككائن ليصل إلى الكائنات الجغرافية المحيطة، فالجيوبوليتيك تنظر للمستقبل في ضوء معطيات الواقع وخبرة التاريخ، وهي لا تنظر فقط له، بل ترسم مساراً عاماً للوصول إليه.

الفهم والتمركز

كيف نفهم منظورنا الجيوبوليتيكي للمنطقة العربية ؟

إن محاولة وضع نظرية جيوبوليتيكية لمنطقة ما تمثل أحلامها وطموحاتها، وتوجه حركتها في المستقبل مرهون بفهم طبيعة العالم، وطبيعة اللعبة السياسية، وتاريخ تشكل الوضع المعاصر، وتراتبية القوة فيه قبل الخلوص لتصور استراتيجي للوطن العربي وممكناته.



القسم الأول

المقدمات النظرية لعلم الجيوبوليتيك





«الثابت الوحيد في هذا العالم هو التغيير المستمر»

لا يمكن فهم السياسة اليوم من غير أخذ هذه الحقيقة في الاعتبار. وإدراك هذه الحقيقة سيعني بالضرورة إدخال التغيرات العالمية في الحسابات باستمرار. ففترة العصور القديمة والوسطى لا يمكن قياسها على فترة العصر الصناعي وتحولاته الكبرى. والعصر الصناعي لا يمكن قياسه على ثورة التكنولوجيا والاتصال العالمي وعالم المعرفة، فكل تطور في مجال من هذه المجالات انعكس على قدرات بعض الدول، ومكنها من لعب دور مختلف في عالم اليوم، وبالتالي أعاد ترتيب حسابات بقية الدول وفضاءات اشتغالها.

فحسابات المصلحة والربح والخسارة باستمرار، هي بنت الوعي باللاعبين الآخرين وقدراتهم، وكل خطأ في تقدير الموقف، قد يتسبب بخسائر جسيمة في عالم البقاء القديم والمعاصر، والسياسة هي مجال الصراع والتدافع، وأدواتها الكبرى معروفة وهي:

- القدرات العقلية للأمم، ومستواها المعرفي والتخطيطي والتنظيمي والإعلامي، وقدرتها على التأثير الحضاري والإقناع، أو درجة إشعاعها في عالمها الذي تعيشه.
- القدرات الاقتصادية، وهي بنت الهيكل الاقتصادي المتوازن في القطاع الزراعي، والقطاع الصناعي، ومجال التكنولوجيا ودرجة تطوره، والقطاع الخدمي ودرجة نضجه في المجتمع. كل ذلك ينعكس على الدولة في درجة قدرتها على مواجهة الضغوط والحفاظ على مصالحها.
- القدرات العسكرية والأمنية، وهي محصلة للقدرات العقلية والبشرية، ودرجة التطور الاقتصادي والتقني في المجتمع.



وكلما تقدم الزمن أصبحت المعرفة والتطور العقلي، هما القائد لكل القطاعات، وهكذا سارت حياة الإنسان على الأرض. فالأرض والبشر، والنوازع الإنسانية من الاختلاف في الأفكار، ومن التنوع في الاحتياجات، ومن الإحساس بندرة بعض الموارد، وضرورة الاستحواذ عليها، كل ذلك دائم ومستمر.



أسباب التدافع

أما قدرات الإنسان فنامية متغيرة، وكلما استحوذت أمة على قدرات أكبر من الآخرين، كلما تولدت الرغبة في استخدام التفوق في الاستحواذ على نصيب أكبر من الثروة العالمية.

والإنسان كائن تحدوه رغبة هائلة للعيش والنمو، وباستمرار هو في صراع لضمان وجوده، وتثبيت استقراره، وتنمية موارده، ثلاثية بسيطة واضحة، ولكنها تشكل عمق فهم السياسة.

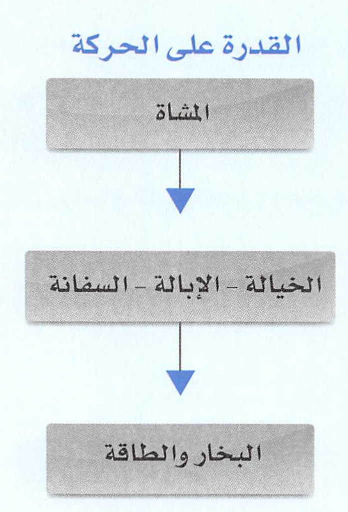


عناصر فهم عمق السياسة

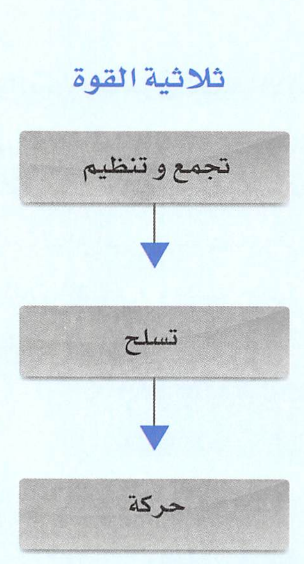
والصورة الكبرى لحركة الإنسان على الأرض، تبدأ كما تخبرنا الجغرافيا البشرية من إفريقيا بالإنسان الصياد، وهو الذي طور من قدراته فاكتشف النار، وصنع آلته للصيد وللدفاع عن نفسه، فولدت الأدوات الحادة والرماح. أشياء لا زالت قيد الاستخدام إلى يومنا هذا، ولرغبة في حماية نفسه تعلم العيش في تجمعات بشرية، فولدت القبائل، وولدت معها فكرة التمايز بين المجموعات البشرية عبر تعريف الذات والآخر.



وفي حركته أيضاً طور الإنسان حياته من حرفة الصيد، لحرفة الرعي بعد أن دجَّن الحيوانات، ومع حرفة الرعي يأتي الانتقال وراء الكلأ والماء، ولحاجته للانتقال الدائم تخفف من المتاع، ومن ترويض الحيوان تعلم ركوب الدواب، وأصبح أقدر على الحركة، وعلى حمل متاعه، وها هو يخطو خطوة بعد التجمع والسلاح، وهي سرعة الحركة والانتقال.



ستظل ثلاثة عناصر حاكمة في صراع الإنسان على مدى العصور، وهي القدرة على التنظيم البشري، ونوع السلاح، والقدرة على الحركة، وسيستخدمها في سبيل تحقيق ثلاثية الوجود في مقابل القوى التي تصارعه، ثم الاستقرار في مدخلاته والمحافظة على مراعيه، ثم تنمية موارده على حساب الآخرين. شيء ما يبدو من قصص القبائل الرعوية الصحراوية، ولكن الدوافع واحدة، وهي موجودة مع الإنسان إلى يومنا هذا.



وفي حركة الإنسان من موطنه الأصلي، التقى بالأنهار، وعقد معها زواجاً دائماً، فألقى عصاه، وغير نمط عيشه، وانتقل من البادية للحضر، انتقل من العيش البسيط إلى العيش المركب، فبنى منازله وشيّد معماره، ونحت معابده ونظم أسواقه، واكتشف الكتابة، وأوجد نظماً سياسية أكثر تعقيداً، نمى مع كل ذلك عالم أفكاره ونمت احتياجاته.

ومع انتقال الإنسان من العيش البسيط إلى العيش المركب، ولدت المجتمعات والحواضر السكانية، ومعها تطور الاقتصاد، وخطوط الحركة بين هذه المجتمعات، وخطوط الدبلوماسية،

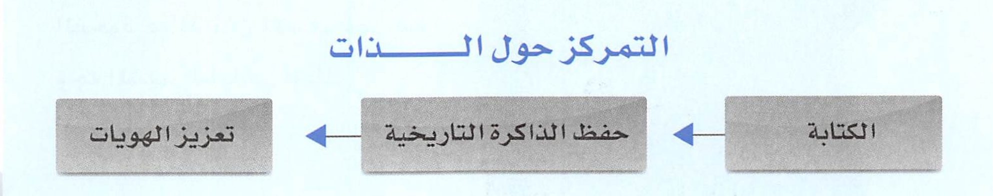


الحضارة بمعنى الانتقال من البسيط إلى المركب

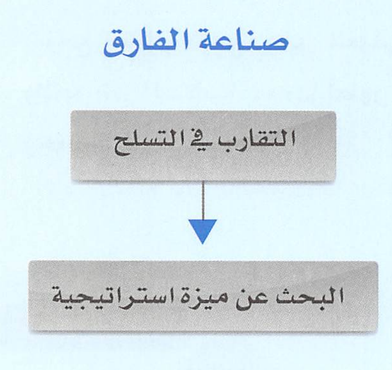
وانتقلت السلع والفنون وأنماط العيش، بل وحتى فكرة المرتزقة أو المحاربين المأجورين. ولعبت الهجرات دورها في نقل المعارف، وتطوير أشكال الحياة على بساط المعمورة.

وكلما تطور الإنسان واستقر تتولد الذاكرة المشتركة والتصورات المشتركة عن الذات والآخر، وتتمايز المجتمعات في أنماط العيش والقيم، ومع الكتابة أصبحت الذاكرة التاريخية أعمق، وتصلبت الهويات الخاصة. هذا الشعور بالتمايز والاختلاف عزز التمركز حول الذات في مقابل الآخر، ومعه تولدت نزعة القوة، والتحصل عليها لمواجهة تهديد الآخر، أو لتهديد الآخر.

التمركز حول الـــــذات



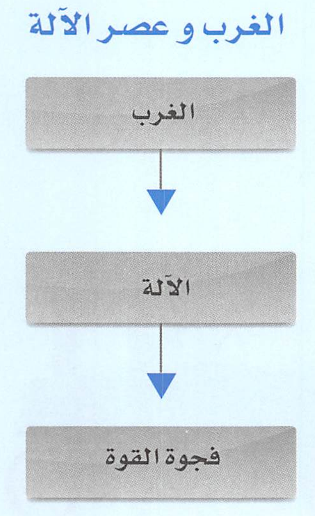
والقوة هنا أصبحت قدرات في التنظيم العسكري كمًّا ونوعا، ورغم أن السلاح في العصور الغابرة يكاد يكون متشابهاً بين جميع الفرقاء، فها هنا السيف والرمح والخيل، ولكن عمليات التطوير والتنويع والاستخدام الأمثل لهذه القدرات لم تكن واحدة بين الأمم.



ذاك عصر كان ميلاد قائد فرد فيه يغير مصير أمة، وتغير طفيف كطول الرماح أو ركوب الخيل من دون سرج، أو اكتشاف دروع جديدة، أو استخدام معدن جديد، أو طريقة تحصين جديدة، أو حتى سلالات من الخيل جديدة، أو تطوير العربات، أو أقواس أو سهام جديدة، كان يعني الفرق بين النصر والهزيمة.

وشهدت العصور الحديثة تحولات كبرى في عالم السياسة، أو سمِّه «عالم القوة»، فبعد أن كان العالم القديم يقوم على تحديد أقل للهوية، وتمايز أقل للحدود، وفوارق بسيطة في النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، على الأقل من ناحية التنظيم، وفوارق قليلة من حيث وسائل الإنتاج. ولمَّا تدخَّلتْ المعرفة والآلة ميدان الصراع، دار الزمن دورته وانعكست كل هذه العناصر، وأصبحت الفجوة هائلة بين الأمم، مما غير وجه المشهد السياسي العالمي.

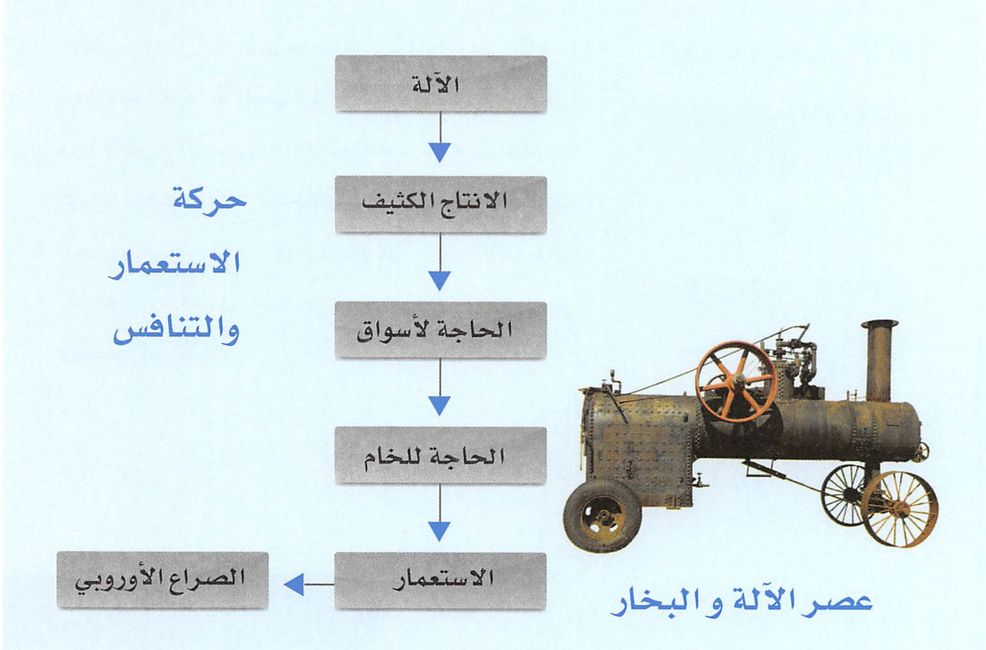
ففي شمال العالم حيث أمريكا وأوربا، حدثت تحولات هامة في السياسة، أدت لثورتين كبيرتين، هما الثورة الأمريكية والفرنسية، ومعها تطورت فكرة الدساتير الحاكمة، وقيدت سلطات الحكومات، وولدت قيم حقوقية غير مسبوقة (الحرية والعدل والمساواة)، وأصبح الشعب هو مصدر السلطات.



عصر الدولة القومية

ومعها تبلورت الفكرة القومية، وأصبح من حق كل شعب له تاريخ مشترك، ولغة خاصة، وعادات وممارسات مشتركة، ورغبة في العيش المشترك تكوين دولته المستقلة. هذه التحولات الكبرى في الإطار النظري، أهّلت الغرب لأن يقيم دولاً قوية مستقرة بدرجة كبيرة، نامية ومتطورة، وأصبح السباق على صدارة العالم سباقاً غربياً بحتاً في أغلبه.

مع نمو العلم والمعرفة، انعكس الأمر على التطور الصناعي، فولد عصر الآلة والبخار، وتضاعف الانتاج ومعه الاقتصاد، وأصبح الأوربي أسرع من غيره من الأمم في الانتقال، وأقوى في الانتاج، وسرعان ما انعكست الآلة على القطاع العسكري، فولدت قدرات تدميرية هائلة، جعلت الغرب يحول العالم بالقوة، إلى مستعمرات وأسواق، بل وحتى أسواق نخاسة.

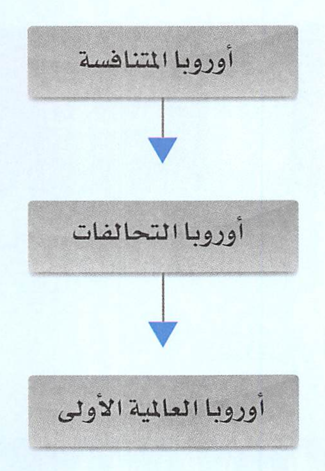


أصبح العالم عبارة عن مناطق لتوريد الخام لأوروبا بأبخس الأثمان، وأسواقاً لتصريف المنتجات، وموردا للبشر للمزارع الأوربية، وتعمير أوربا.

هكذا أصبحت الأمم الآخرى، حتى الأوربية منها، رهناً بتوازن القوة الجديدة، وأصبح وجود الدول مرهوناً بقوتها بالنسبة للخصوم. ولو ركزنا على أوربا، وكم التحولات فيها لاستطعنا رؤية المشهد التالي:

الخوف المتبادل بين الدول الغربية (في القارة الأوربية)، نتيجة تفاوت التقدم العام الصناعي، منذ القرن الثامن عشر، والذي انعكس على تفاوت حظوظها من الاقتصاد والقوة العسكرية، ولّد حالة البحث عن توازن القوة، وتولدت الأحلاف، ولعبت بريطانيا دور القوة الحافظة للتوازن لعقود طويلة. لكن وبنهاية القرن التاسع عشر ضعف توازن القوة، نتيجة أن الأحلاف لم تعد مرنة بما يسمح بالتنازلات المتبادلة، فولّد محورين متضادين (ألمانيا . النمسا . إيطاليا) من جهة، و(فرنسا . وروسيا) من جهة أخرى، مما جهز المسرح للحرب العالمية الأولى، أول طلائع الصراع الأوروبي البيني داخل القارة.

وبين ١٩١٤ - ١٩١٨ دارت حرب خنادق بين اثنتى عشرة دولة أوروبية، واستخدمت الغازات السامة، وأدت المعارك إلى قتل ثمانية ملايين ونصف من الجنود، ومليون ونصف من المدنيين.



أوروبا والحرب العالمية الأولى

وبعد الحرب العالمية الأولى، انهارت روسيا بالثورة البلشفية، والنمسا وهنجاريا بالتفكك، والدولة العثمانية بالحروب الخارجية والمشاكل الداخلية، وكتعويض عن الإذلال الذي لحق بهذه القوى تولدت روح قومية حادة داخلها.

أما ألمانيا الخاسرة في الحرب فتحولت للنازية، وايطاليا تحولت للفاشية، وتحالفت ألمانيا مع إيطاليا واليابان. ولم تكن عصبة الأمم الوليدة قادرة على تحدي هذا الثلاثي، ولا الاستجابة للاضطرابات الاقتصادية.

في هذه المرحلة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وبداية الحرب العالمية الثانية، تطور الأمر كثيراً، فألمانيا فاز فيها النازيون، وأصبحت سنة ١٩٣٠ دولة كبرى، واليابان غزت منشوريا عام ١٩٣١، واستكملت احتلال بقية الصين عام ١٩٣٧، وإيطاليا غزت أثيوبيا في ١٩٣٥، وأصبح العالم أمام مواجهة ثلاثية، بين الفاشية والنازية ممثلة في ألمانيا وإيطاليا واليابان، والليبرالية ممثلة بفرنسا وبريطانيا وأمريكا وآخرين، والشيوعية ممثلة في روسيا.





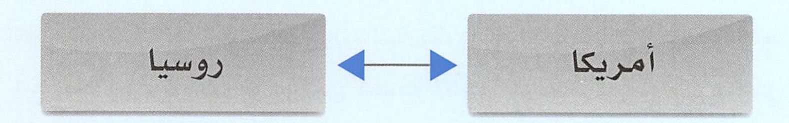


فرنسا - بريطانيا - النمسا | روسيا | ألمانيا - إيطاليا - اليابان

نتائج الحرب الأولى

عالم ما بعد الحرب العالمية الأولى

وهنا تحالفت الليبرالية والشيوعية لهزيمة الفاشية والنازية، أو تحالف الأمريكان والإنجليز والفرنسيين والروس، لهزيمة ألمانيا واليابان وإيطاليا، وانتصر الحلفاء على الألمان واليابانيين والإيطاليين، وتغير العالم، فقد ولدت قوتان عالميتان، هما الولايات المتحدة الأمريكية، والإتحاد السوفيتي.



نتائج الحرب العالمية الثانية
(ميلاد القطبين)

الحرب الباردة

اتفقت الدول الفائزة في الحرب العالمية الثانية على نظام دولي جديد، وهو الأمم المتحدة. وسيظهر الفارق بين القوتين الجديدتين (أمريكا و روسيا) على مستوى

المصالح والأيدولوجيا. حصّنت روسيا خاصرتها الأوروبية، بإلحاق أوروبا الشرقية بها (بولندا . تشيكوسلافيا . هنجاريا . بلغاريا . ورومانيا)، وفي المقابل قررت أمريكا احتواء الاتحاد السوفييتي منذ عام ١٩٤٧، ومع وجود معامل التوازن في القوة النووية، تجنب الطرفان الحرب المباشرة وأدارا حروباً إستخباراتية وانقلابات وحروباً استُخدمت فيها دول أخرى وهو ما أطلق عليه الحرب الباردة.

تصدع الأقطاب

لم تمض إلا ستون سنة، حتى سقط الاتحاد السوفييتي، وتفتّتت مملكته، واستقلت الجمهوريات السوفييتية عنه، وولد عالم القطب الواحد، وعلى رأسه أمريكا. ولن يمضي الزمن بعيداً حتى حدث الانهيار للاقتصاد الأمريكي، وترنحت تحت وطأته القوة الأعظم، وقد يُحدث الله من بعد ذلك أمراً. وخلف ذلك مناد يقول: (وتلك الأيام نداولها بين الناس).



الجاهزية لمفاجآت الجغرافيا

الحقيقة البسيطة التي يجب أن تتمركز في عقل صانع القرار السياسي، أن العالم متغير، وأنه باستمرار يجب أن يحلم بالأفضل، وأن يستعد للأسوأ. فمصائر الأمم معلقة بهذه التغيرات، فكم فاجأت الأحداث إمبراطوريات فقلبتها، وأمماً فأزالتها، وخرائط فأتت عليها، ولذلك على كل مهتم بالأمن القومي ومستقبل الأوطان أن يستعد لأسوأ الظروف في عصر المفاجئات.

ملخص الفصل الأول

بشر +
طبيعة + اقتصاد
(كلها تتغير باستمرار)

التنوع والندرة
والاختلاف

العالم متغير
باستمرار بسبب

صراع الأفكار

الثورات
والتغييرات الاجتماعية

الحروب

تغير العالم باستمرار.. لماذا؟





من الحكمة أن نعرف كيف يفكر عالم القوة

الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية هم في قمة هرم اتخاذ القرارت الدولية اليوم على الأقل، فمن المهم معرفة ما أنتجه العقل الغربي من تصورات عن السياسة الدولية.

ففي قلب موضوع اتخاذ القرار العالمي، يقع الفرد متخذ القرار وميوله واتجاهاته ونظرته للآخر، وهناك الدولة ونظرتها لمصالحها وأولوياتها، وهناك النظرة لدور المؤسسات الدولية وموقعها من السلم العالمي.

مدخلات القرار العالمي

- الفرد
- الدولة
- المؤسسة

- فمتخذ القرار الأمريكي، وهو الرئيس بوش كان يرى أن الرئيس العراقي "صدام حسين" شرير معاد للغرب، وهو من فكر في قتل جورج بوش الأب، وهو تهديد لأمن أمريكا وإسرائيل.
- والدولة الأمريكية ترى أن تأمين مصالحها لا يتم إلا بتأمين النفط، ومكافحة الإرهاب، ومنع انتشار أسلحة الدمار الشامل، وضمان حماية أمن اسرائيل. والكفة في الكونجرس والشيوخ لصالح الرئيس، والشعب مهيأ بسبب أحداث ١١ سبتمبر لتلقي خطاب الحرب.
- والمؤسسات الدولية كانت نظرة الإدارة الامريكية مع جورج بوش الإبن إليها، ترى أنها عديمة الجدوى، ومعرقلة للمصالح الأمريكية، وأن موظفيها ليسوا إلا موظفين يستلمون مرتباتهم من الميزانية الأمريكية، وأن بإمكان أمريكا بعد أن أصبحت القطب الأوحد الاستغناء عن خدماتها.

وكلما تقدم الزمن أصبحت المعرفة والتطور العقلي، هما القائد لكل القطاعات، وهكذا سارت حياة الإنسان على الأرض. فالأرض والبشر، والنوازع الإنسانية من الاختلاف في الأفكار، ومن التنوع في الاحتياجات، ومن الإحساس بندرة بعض الموارد، وضرورة الاستحواذ عليها، كل ذلك دائم ومستمر ومستقر.

وبالنتيجة:

- » تم اتخاذ قرار التخلص من صدام حسين و نظامه.
- » تم اتخاذ قرار احتلال العراق.
- » تم تهميش الأمم المتحدة، وإعطاؤها دوراً ثانوياً في المشهد.

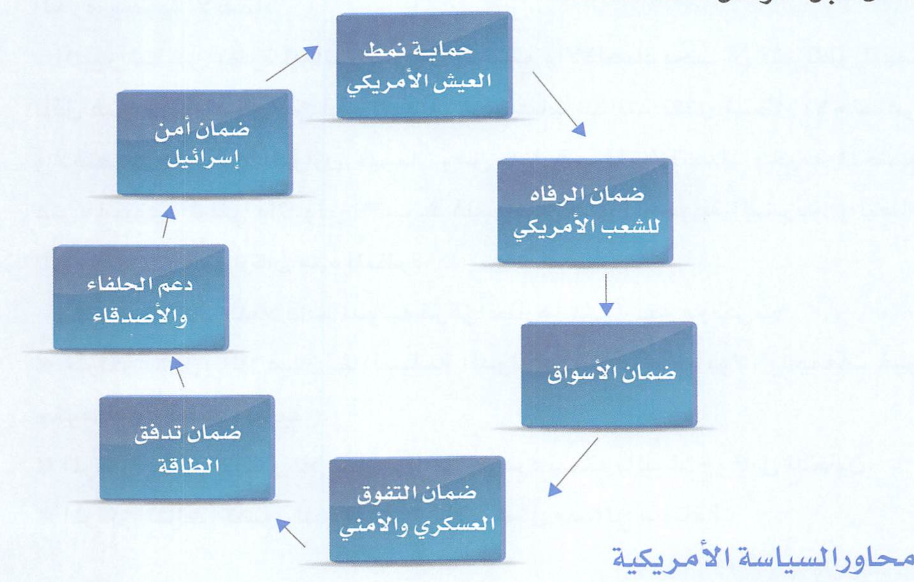
والنظرة للسياسة الدولية يمكن تقسيمها، بغرض فهم النظارة التي يلبسها صانع القرار، في لحظة معينة من تاريخ صنع القرار، وهي تختلف باختلاف صانع القرار، ومن هنا تكمن أهميتها، ويمكن الحديث عن عدد من المدارس، وأولها المدرسة الليبرالية، ثم الواقعية، ثم اليسارية، لدورها في تشكل المشاهد التي تحيط بنا.

نظريات العلاقات الدولية

عندما نتكلم عن المناظير المختلفة لصانع القرار، ونقسمها تحت مسميات معينة، فذلك عمل نظري بحت. ففي الواقع العملي هناك طيف من المواقف، يمتد من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين، فقد يكون الشخص يؤمن بالليبرالية الاقتصادية، وهو محافظ، بمعنى أنه يؤمن بالفوارق الطبقية، وبالرؤى الدينية كما هو اتجاه حزب المحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية.

بالطبع لا يعنينا في هذا الكتاب شرح النظريات الكبرى في العلاقات السياسية الدولية، فذلك أمر يمكن الرجوع إليه في مظانّه من الكتب أو الشبكة العنكبوتية، ولكن يهمنا في هذا السياق لفت نظر القارئ لأهمية تصور صاحب القرار لدور العلاقات الدولية في صناعة الحرب والسلم.

ورغم ثبات محاور السياسة الأمريكية مثلاً حول أهمية حماية نمط العيش الأمريكي، وضمان الرفاه للشعب الأمريكي، وضمان تدفق الطاقة، وضمان الأسواق، وضمان التفوق العسكري الأمريكي، ودعم الحلفاء والأصدقاء، وضمان أمن إسرائيل، إلا أن سبل التوصل لذلك مختلفة.



محاور السياسة الأمريكية

وهذا الاختلاف يكمن في نظرة صاحب القرار لطبيعة البشر، (هل هم منطقيون يسعون لتحقيق مصالحهم؟ أم هم عشوائيون لا يمكن توقع تصرفاتهم؟)

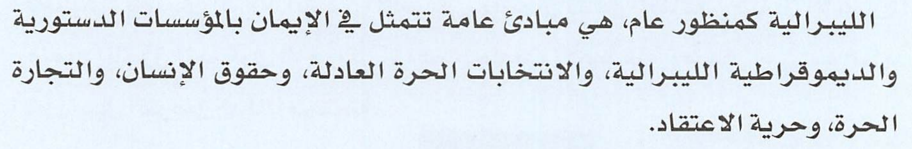
ولطبيعة الساحة الدولية (هل هي عالم المصالح المتبادلة؟ أم عالم الفوضى وعدم الانتظام؟)

ولدور الدول (أهي اللاعب الأساس؟ أم أن هناك مصالح أخرى، كمصالح الرأسماليين، والبرجوازية العالمية هي من يحركها؟)

ولدور المنظمات الدولية (هل الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات العالمية لاعب أساسي، أم أنها لا قيمة لها؟) وبحسب رؤية متخذ القرار لهذه الزوايا، تتحدد قراراته في العلاقات الدولية.

الليبراليـــة Liberalism

نظريات العلاقات الدولية:



الليبرالية كمنظور عام، هي مبادئ عامة تتمثل في الإيمان بالمؤسسات الدستورية والديموقراطية الليبرالية، والانتخابات الحرة العادلة، وحقوق الإنسان، والتجارة الحرة، وحرية الاعتقاد.

الليبرالية هي نظرة للعالم، ترى أن المجتمع والاقتصاد يجب أن تتم تطوراتهما بأقل قدر من التدخل من قبل الدولة، فالعمليات الذاتية تكفل للنظام الاجتماعي والاقتصادي إحداث التوازن فيهما. ومن هنا فحرية الاقتصاد وحرية المجتمع على المستوى المحلي والدولي، تقف في قلب أفكار هذه المجموعة البشرية، والنظام الرأسمالي هو أهم أركان هذه النظرة.

وهي حين تنظر للعلاقات الدولية تركز أنظارها على أربعة مرتكزات:

- المرتكز الأول: اللاعبون في السياسة الدولية، وهي تراهم (دولاً، وتجمعات غير حكومية، ومنظمات دولية).
- المرتكز الثاني: تصور للإنسان بأنه في جوهره يتمتع بالصلاح وقابل للتعاون.
- المرتكز الثالث: تصور للدولة يقول بأنها تمثل مصالح مختلفة.

» المرتكز الرابع: تصور عن النظام الدولي، بأنه نظام له مصالح يعتمد بعضها على بعض، وأنه فوضوي بدرجة من الدرجات.

الأول	اللاعبون في السياسة الدولية (دول - تجمعات غير حكومية- منظمات دولية)
الثاني	تصور الإنسان بأنه في جوهره يتمتع بالصلاح وقابل للتعاون
الثالث	تصور للدولة يقول بأنها تمثل مصالح مختلفة
الرابع	تصور عن النظام الدولي بأنه نظام له مصالح يعتمد بعضها على بعض، وأنه فوضوي بدرجة من الدرجات

مرتكزات الليبرالية

الليبرالية الجديدة Neoliberals

الليبرالية الجديدة هي أقصى اليمين في الطيف الليبرالي، حيث تدعو لإطلاق العنان للمسار الرأسمالي بدون أي قيود. وقد تزامنت مع فكرة العولمة. واختلطت برؤية قومية أمريكية حادة تؤمن بالتفوق الأمريكي المطلق، وبدور القوة المطلق، وبرؤى دينية أطلق عليها الليبرالية المسيحية التبشيرية، وهي تقوم على أن المسيحية هي تجربة مباشرة مع الرب، ومن هذه التجربة جاء الكتاب والعهد. فالإله له حضور ظاهر في التاريخ، فهو الذي يرتب الأحداث، والمؤمنون يعملون وفق إشاراته ووحيه المباشر. فالمسيح كمرشد أخلاقي، والإنجيل كوثيقة ممثله لإرادة الرب، حظيا برضى الرب، وعلى المؤمنين اتباع الإشارات.

ويطرح بعض هذا اليمين رؤيته كوثيقة بعنوان: مشروع للإمبراطورية الأمريكية الجديدة. Project for a new American empire

ومن مقولاتها:

» أمريكا يجب أن تفرض السلام بشروطها، عبر تفوقها العسكري المطلق.
» على أمريكا أن تزيد من تفوقها، وأن تحافظ عليه.
» على أمريكا أن تقبل بدورها المتميز، وهو تكييف النظام العالمي ليتناسب مع متطلبات الأمن والرفاه والمبادئ الأمريكية.
» ومن مقولاته: أوربا أفسدتها العلمانية، والعالم النامي أفسده الفقر، ولم تبق إلا أمريكا لتقدم الإطار الأخلاقي للعالم، ولا عيب في الهيمنة الأمريكية ما دامت في خدمة مبادئ سامية كالمبادئ الأمريكية.

ويقدم لنا الرئيس بوش نموذجا أكثر تطرفا حين يقول في بعض مقابلاته "أنا أتلقى توجيهاتي من الأب الأعلى"، "الرب اختارني لمهمة في هذا التوقيت".

نموذج لكيفية تصرف هذه الأنماط من التفكير في المجال الدولي:

لو نظرنا لسياسات الرئيس بوش الابن، وهو تمثيل صارخ للمحافظين الجدد، أو أقصى اليمين الليبرالي في أمريكا سنجد التوجه القوي لفتح الأسواق العالمية أمام التجارة الدولية، وإطلاق القوى الرأسمالية بدون ضوابط (انظر الأزمة الاقتصادية الحالية، نظرا لغياب الضوابط على المعاملات).

ثم على المستوى الدولي سنجد فكرة التفوق العسكري، واستخدام العضلات العسكرية، والحرب على أكثر من جبهة، والعمل الانفرادي، ونزعة الاستعلاء الأمريكية، والتعبيرات الدينية والتاريخية (الرب كلفني، المهمة الربانية، روما العالم، السلم الأمريكي...ألخ).

قارن ذلك بموقف الرئيس أوباما كموقف ليبرالي آخر أقرب لليسار، حيث في الداخل يقرر تقييد بعض حرية السوق، ويميل بالتشريعات للفئات الأفقر في المجتمع، وفي المستوى الدولي يميل لحل النزاعات عبر الجهد الدولي، والاعتراف بدور الأمم المتحدة واللهجة التصالحية مع العالم.

الواقعيــــة Realism

الواقعية هي التعامل مع العالم كما هو، والتفكير في المصلحة بغض النظر عن المسبقات الأخلاقية والإيديولوجية.

تنظر هذه المدرسة للإنسان باعتباره أناني الطبع، ويسعى للقوة باستمرار، والدول هي مجموع الأفراد، وكل منها يعمل بطريقة منفردة لتحقيق مصالحه القومية، بمعنى الحصول على أكبر قدر من القوة.

الإنسان أناني بالطبع، ويسعى للقوة باستمرار، والدول هي مجموعة أفراد

الأفراد بطبعهم منطقيون وهم يسعون لأهدافهم عبر موازنة الخيارات بحسب قوتهم وضعفهم

السياسة الدولية هي صراع من أجل حيازة القوة

مرتكزات المدرسة الواقعية

والأفراد بطبعهم منطقيون، وهم يسعون لأهدافهم عبر موازنة الخيارات بحسب قوتهم وضعفهم. والدول تحتاج إلى أن تحمي نفسها من أعدائها الخارجيين والمحليين، عبر تنمية قدراتها الداخلية وبناء اقتصادها، وتكوين الأحلاف المبنية على ذات المصالح.

ويقدم ميكيافيللي وصفته للأمير، بأن يؤمن سلامته باستمرار، وسلامة دولته، وهو حر في استخدام التحالفات، ومختلف الاستراتيجيات الدفاعية والهجومية لعمل ذلك.

السياسة الدولية هي صراع من أجل حيازة القوة، ويمكن تفسيرها على ثلاثة مستويات:

- الأفراد بقصورهم في الوضع الطبيعي، يصارعون من أجل البقاء.
- الدولة كدولة تصارع من أجل مصالحها، وتوازن القوة بالقوة.
- النظام الدولي ليس له أحد مسؤول، وبالتالي فالصراع مستمر.

والأخلاق في السياسة تقاس بنتائج الأعمال، فكل عمل يحقق نتيجة جيدة للدولة بهذا المنظور، فهو عمل أخلاقي.

ولا أمان للدول عبر المعاهدات، لأنها قد تخادع وتغير ميزان القوة باستمرار.

الواقعيون الجدد Neorealsit

يؤمن هؤلاء بمبدأ توازن القوة، ولكنهم يضيفون أن توازن القوة تحدده بنية النظام، ويقصد ببنية النظام: الوحدات الفاعلة فيه (دول، منظمات.. الخ) والعلاقات بينها، وقواعد التعامل، والمعايير المعتبرة. وبالتالي فلابد للدولة أن تزيد من قوتها باستمرار، وتنتبه لبنية النظام وتأثيراته، وتعمل على التحكم فيها.

نموذج لنمط التعامل من خلال هذا المنظور:

ولفهم منظور الواقعيين، يمكن استدعاء صورة إدارة الصراع في الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفييتي. فسياسة الاحتواء هي تفسير لمبدأ توازن القوى، فهدف

الاحتواء هو منع الاتحاد السوفيتي من التمدد خارج نطاق الدول التي تقع في محيط تأثيره (الكتلة الشرقية).

والاحتواء يتم بتوازن قوة أمريكا والاتحاد السوفييتي. ولو نظرنا لما قامت به الولايات المتحدة من تطويق السوفيات وحلفائهم، نستطيع أن نفهم لماذا دعمت الولايات المتحدة الصين وباكستان، وكيف سعت لتحقيق ميزة على الاتحاد السوفييتي وحليفته الهند. كل ذلك لتتحكم في بنية النظام الجيوبوليتيكي في المنطقة. ويمكن رؤية سائر الإجراءات في الأمثلة السابقة.

المنظور اليساري الجذري Radicalism

يرى ماركس واليسار أن اللاعبين الأساسيين في العالم هم الطبقات الاجتماعية، والصفوات السياسية، والمنظمات الدولية. وأن تصرف الأفراد هو نتاج أوضاعهم الاقتصادية. وأن الدولة هي أداة في يد النظام الرأسمالي العالمي، ومنفذي السياسات هم البرجوازية. والنظام الدولي هو نظام طبقي، ومسيطر عليه من قبل النظام الرأسمالي العالمي، وأن التغيير لا يتم إلا بالثورة على هذا النظام.

اللاعبون الأساسيون في العالم هم الطبقات الاجتماعية والصفوات السياسية والمنظمات الدولية

تصرف الأفراد هو نتاج طبقتهم الاقتصادية

الدولة هي أداة في يد النظام الرأسمالي العالمي ومنفذي السياسات هم البرجوازية

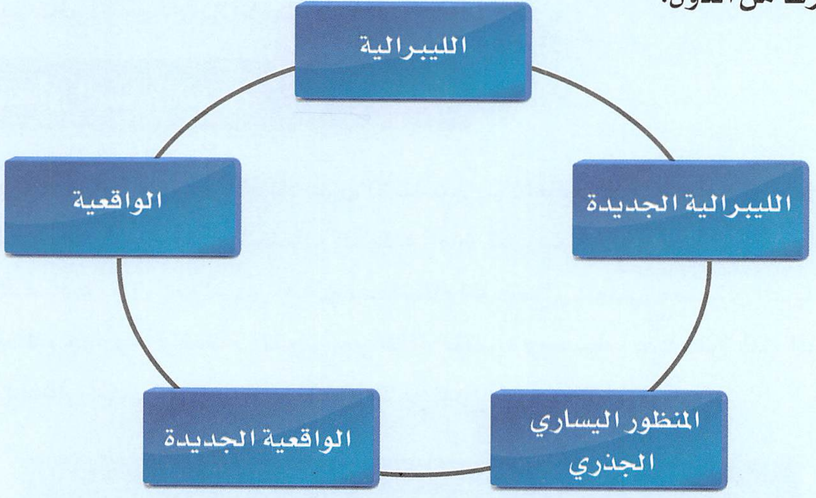
النظام الدولي هو نظام طبقي ومسيطر عليه من قبل النظام الرأسمالي العالمي

التغير لا يتم إلا بالثورة على هذا النظام

مرتكزات المدرسة اليسارية

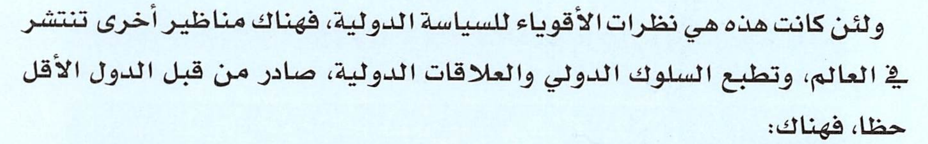
التطبيق العملي لهذا المنظور:

يمكن استدعاء تصرفات الاتحاد السوفييتي في حقبة الستينيات، فهناك اتجاه لتكوين الأحزاب الشيوعية على مستوى العالم، ثم القيام بثورات وقلب أنظمة الحكم، وبناء منظومة من الدول الحليفة للاتحاد السوفييتي، وحماية الثورات ودعمها. وهذا ما يفسر وصول الشيوعية إلى كل من اليمن، أنجولا، فيتنام الشمالية، كوبا وغيرها من الدول.



النظريات السياسية

مواقف القوى الأقل حظا من الترتيبات الدولية:



ولئن كانت هذه هي نظرات الأقوياء للسياسة الدولية، فهناك مناظير أخرى تنتشر في العالم، وتطبع السلوك الدولي والعلاقات الدولية، صادر من قبل الدول الأقل حظا، فهناك:

- سلوك الاستقلال. مثل: الصين، روسيا، الهند، تركيا.
- سلوك التبعية. مثل: كوريا الجنوبية، اليابان وبريطانيا في السياسة الخارجية، بعض الدول العربية.
- سلوك التمرد. مثل: إيران، كوريا الشمالية، كوبا.

سلوك الاستقلال	الصين، روسيا، الهند، تركيا
سلوك التبعية	كوريا الجنوبية، اليابان، بريطانيا
سلوك التمرد	إيران، كوريا الشمالية، كوبا

فالدول التي تحاول بناء قدراتها الذاتية، ووضع سياساتها الخاصة، وتحديد أهدافها الذاتية مع الاعتراف بالأوضاع الدولية الكبرى، والعمل على تخفيف ضغوطها، والمناورة من خلال ذات قواعد اللعبة، يمكن أن نطلق عليها أنها تلعب من داخل قواعد اللعبة (لعبة الاستقلال).

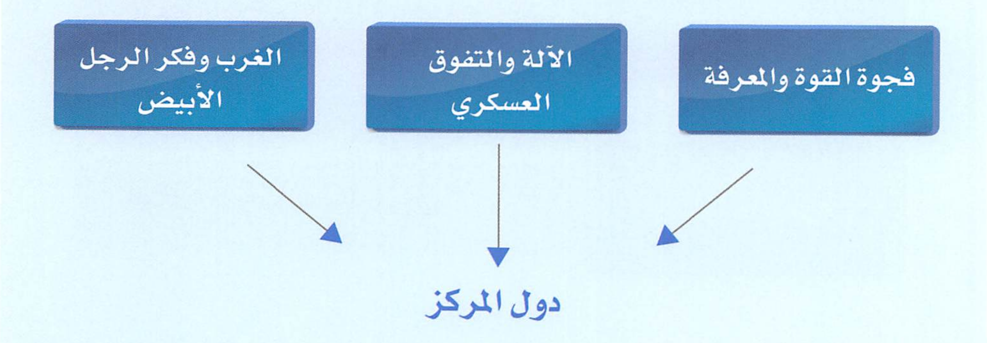
وهناك الدول التي تمارس تبعية مطلقة للقوى العالمية، وتحتفظ بهامش صغير للمناورة، وتضحي بمصالحها القومية والوطنية لصالح إرضاء القوى الخارجية، ولا تسعى لبناء أي مقدرات خاصة تسمح لها بالاستقلال (دول التبعية).

وهناك قوى يطبع سلوكها التمرد على متطلبات اللعبة الدولية بصورتها القائمة، وهي تعلن عن تمردها وعدم اتساقها مع الأوضاع التي خلقتها حركة القوى العظمى، ويمكن أن نطلق على هذه الدول (دول التمرد).

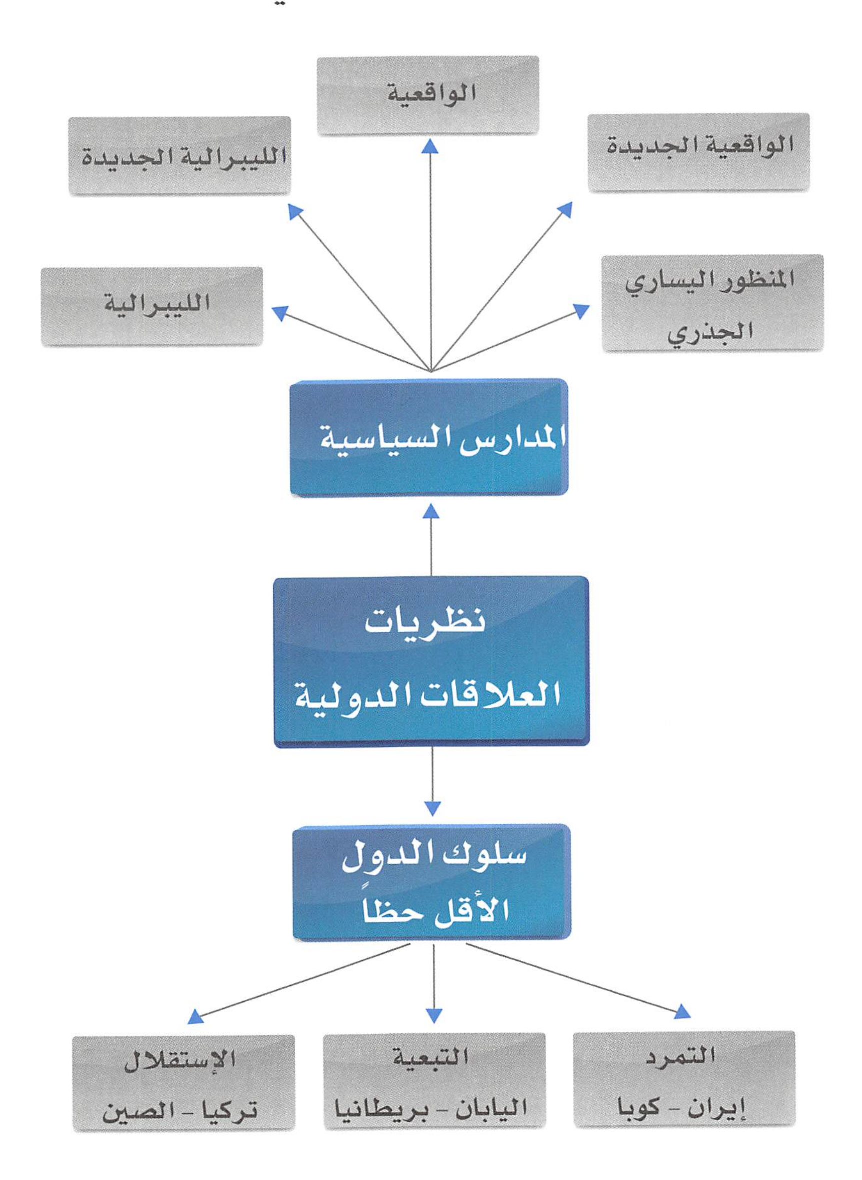
العمل في ضوء معطيات العالم الذي يتحكم فيه ميزان القوة بين الأطراف، يحتاج لتحديد دقيق لرؤية العالم وكيفية التعاطي معه، وكيفية التمركز فيه بشكل يرفع من العائد ويقلل التكلفة.

عندما ننظر إلى نشوء مجموعة (دول المركز) سنجد أنها محصلة ثلاث تطورات كبرى: قوة المعرفة والعلم، وميلاد الآلة التي سمحت للغرب بالتفوق العسكري، ونشوء فكرة الإنسان الأبيض الغربي المتفوق على سواه من الآخرين.

هذه الثلاث ميزات ستولّد لنا نقطة الإرتكاز العالمي المعاصر في السياسة وفي سائر شؤون الحياة المسماة (دول المركز).



ملخص الفصل الثاني



الفصل الثالث

حلم السيطرة على العالم

نموذج جنكيز خان



«يا أبنائي أترك لكم مهمة استكمال فتح العالم وإخضاعه»

«جنكيز خان»

من الفرقة للوحدة.. جنكيز خان الرجل الفولاذي

في العالم القديم، في بلاد صعبة تقع جنوب سيبيريا ولد تموجين "جنكيز خان" عام ١١٥٥م على ضفاف نهر اوتون، من أب مقاتل ذاع صيته في حروبه ضد التتار، وسيد لقبيلة قيات، هذا الأب كان قد جمع بعض القبائل تحت إمرته قبل وفاته وكان من الطبيعي أن يرث تيموجين الزعامة من أبيه، لكن هذه القبائل تمردت على حكم الصبي، وتعرضت الأسرة لشظف العيش وتعلموا الحياة القاسية، ولم تسلم الأسرة من غارات التيجوت وهي إحدى القبائل التي كانت تحت إمرة والده والتي فعلت كل ما تستطيع لاذلالهم، مما ألجأ الأسرة للجبال وأهمها جبل كنتاي الذي كان مقدسا في عقائدهم.

لقد برزت سجايا الغلام وقدراته مبكراً في القتال مع أعدائه، كما برزت خصال الوفاء لأصدقائه وشكر المعروف وحبه للعدل. وهكذا ولدت قيادته وبدأ بجذب الناس إليها فالتف حوله قومه ثم القبائل تباعاً ومن أهمها الأمراء الأربعة الذين ينحدرون من سلالة ملكية، وهي ذات أسرة جنكيز خان إلا أنها لا يحق لها بالحكم مثلهم بحسب التراتيب القبلية. اجتمع هؤلاء ونصبوا تيموجين خانا أعظم وبايعوه على السمع والطاعة له تحت كل الظروف وقد التزموا بذلك.

لقد برع جنكيز خان في التنظيم وفن الحرب والدهاء السياسي بشكل لا نظير له، فقد كانت تنظيماته القتالية في منتهى الدقة، وقيادته منتقاة من خيرة الأنصار، ونجح في بث الرعب في خصومه. ففي أول معاركه الكبرى «معركة العجلات» سيق له فيها بعد انتصاره ٧٠ من قادة العدو فأمر بغليهم في القدور وبعدها خضعت له القبائل المتمردة عليه، ومن لم يخضع واستمر في القتال كانت الهزيمة نصيبه.

الطموح والرؤية والتوسع

تولد الرؤية مع القيادة، والخان لم يكن استثناء، فقد كان يرى أن العالم يجب أن يخضع له وهو على أتم استعداد أن يخضعه. توجه جنكيز للصين، وأنهى إخضاعها سنة ١٢١٥م ودخل بكين.

امتلك تيموجين أسرار القيادة العسكرية الناجحة، قدرة على التنظيم وبراعة في الاستراتيجيا وحنكة وصرامة في التكتيك ومعرفة بالرجال وحسن اختيار الأعوان وقلباً كبيراً مكنه من مداراتهم وتوجيههم، وحسماً صارماً مع أعدائه.

الدستور وأسرار الادارة

فقد نظم البلاد حول دستور ينظم العلاقات (الياسا) فنقل المغول من العادات والتقاليد لدستور مكتوب ينظم كل ما يهم الدولة وطلب من الأيغور أن يعلموا أبناء المغول الخط. وساعد الياسا أو القواعد المنظمة في انصهار القبائل المغولية واندماجها في المشروع الذي يقوده تيموجين.

تنظيم الإمبراطورية

كان للحكيم الصيني داي الذي اختاره جنكيز خان، وولاه أمور تنظيم الإمبراطورية أعظم الأثر في حكم هذه المساحة المترامية من العالم. وبحسن التنظيم يمكن تقليل التكاليف، وحفظ الأمن، وتسيير أمور الإمبراطوريات.

امتداد إمبراطورية المغول

وصلت الإمبراطورية لأقصى اتساعها عام ١٤٠٥ فمن حوض الدانوب (في أوربا)، حتى بحر اليابان، ومن الحدود الروسية الفنلندية حتى كمبوديا. وبلغت مساحتها أكثر من ٣٠ مليون كيلومتر مربع. وهي ثاني إمبراطورية من حيث الاتساع عبر التاريخ.وهي كذلك الإمبراطورية الوحيدة التي سيطرت على كل العالم قبل اكتشاف العالم الحديث.

ثم يأتي دور التفكك والانهيار

الحروب على جبهات متعددة تمتد من أوربا إلى الصين، وما حولها للعالم العربي مع طول طرق الإمداد. فالتوسع له تكلفة عالية، ونهايته تكون باستنزاف موارد الإمبراطورية، وكذلك روحها المعنوية، حين تتلقى الهزائم ولو كانت صغيرة، ولكن بتراكمها تتضاءل ثقة الامبراطورية بذاتها.

وتلعب العقائد المتباينة دوراً مهماً في تفكك الإمبراطوريات الممتدة، فالمغول اعتنقوا ديانات الشعوب التي غزوها من البوذية للمسيحية، للإسلام والأرواحية، وكان طبيعياً أن تختلف ولاءاتهم بحسب دياناتهم المختلفة.

كل هذا بدوره يُنشئ الصراع حول السلطة داخل النخبة والانقسام حول المصالح، وقابلية الاستقواء بالآخر تصبح مظاهر طبيعية، وتقوم بدورها في إضعاف نسيج الإمبراطورية.

هكذا تفككت الإمبراطورية المغولية العالمية عام ١٣٣٥.

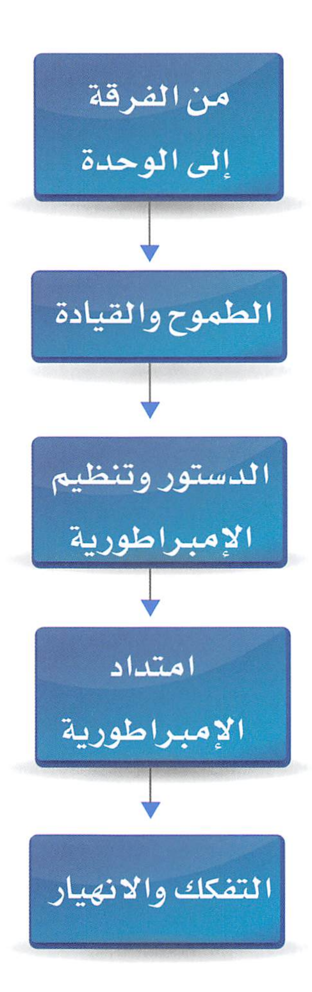
العبرة

قصة الرؤيا والحلم الواعد بامتلاك العالم لم تغادر المسرح حتى اليوم، ومعها وباستمرار تأتي قصة فكرة التوسع، ثم قصة التفكك والانهيار أو الانحسار، والتي يقابلها مقاومة الإنسان لهذا التفكك.

ولا يختلف الحاضر عن الماضي في فكرة الهيمنة والتمدد، إلا أن فكرة الحدود الشفافة تلعب دورا أكبر اليوم.

أما جوهر اللعبة والبسط والقبض، فهي قائمة ربما إلى قيام الساعة، وهنا تلعب السياسة دوراً أكثر أهمية بالنسبة للدول الأقل حظاً، والتي تتقاطع مع مصالح الإمبراطوريات، وتحاول أن تنمو وتتطور في ظلِّ اختلالات القوة وعدم التوازن.

ملخص الفصل الثالث



إمبراطورية المغول كنموذج للسيطرة على العالم

الفصل الرابع

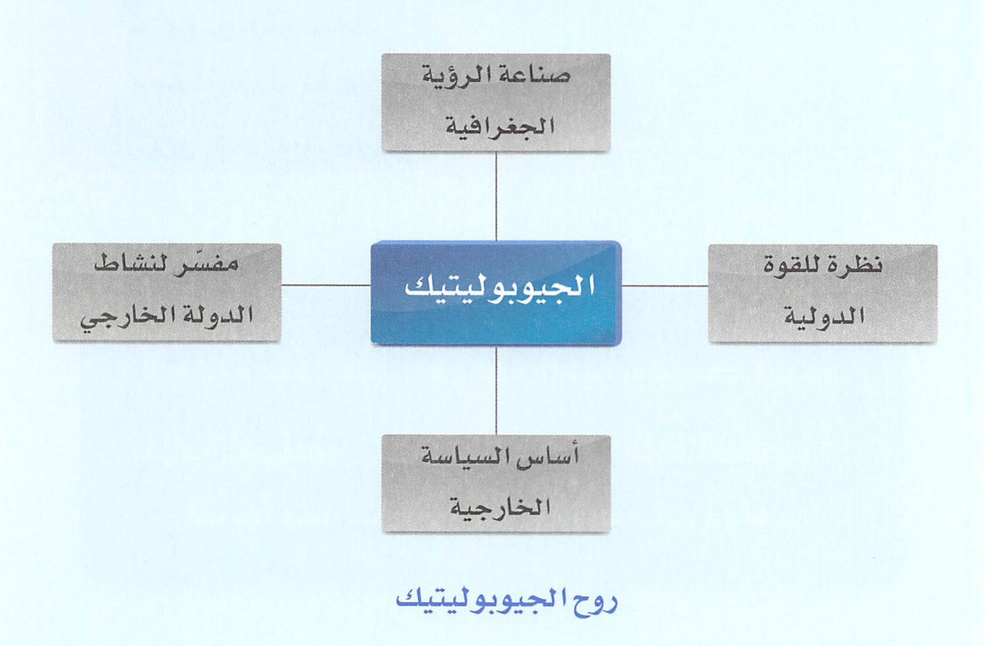
الجيوبوليتيك ومقاربة حلم الامبراطوريات

لقد ولد علم كبير، هو علم الجيوبوليتيك ليخدم أحلام الامبراطوريات، ولذلك يلزم لقادة النهضة أن يقتربوا منه لفهم العالم وحركته من حولهم.

الجيوبوليتيك ومقاربة حلم العالم

لقد رأينا جنكيز خان يتحرك من سهوب آسيا ويتمدد في فضاء العالم القديم باتجاه الحواجز الصينية جنوباً وأوروبا غرباً.. الخ ليقود واحدة من أكبر إمبراطوريات العالم القديم.

قد يختلف الأكاديميون حول تسمية الجيوبوليتيك **Geopolitic** وهل يجب تسميتها بالجيوستراتيجي **Geostrategy** ولكنهم لن يختلفوا على أنها العنصر الأساس في رؤية العالم اليوم وأنها تفعل فعلها في تشكُّل العالم شئنا أم أبينا. ولذلك سنتجاوز الأكاديميا الجامدة لندخل في صلب الموضوع فالجيوبوليتيك في أي مجتمع معاصر هي ثقافة سياسية متأثرة بالجغرافيا وهي نظرة لعلاقة الجغرافيا بقوة الدولة أو ضعفها، وهي هندسة لسياسة الدول الخارجية ومفسر لتحركات الدول ونشاطاتها.



روح الجيوبوليتيك

لقد ولد هذا العلم في حضن الامبراطورية البريطانية وأصبح خادماً للأحلام الإمبراطورية.. وبالتالي فرض نفسه كأساس لفهم السياسة الدولية على جميع من تمسهم حركتها. فكل دولة تحدد لنفسها:

- عناصر قوتها وضعفها.
- احتياجات الدولة للوجود والاستقرار والنمو.
- رؤيتها لنفسها ومكانتها في العالم.
- كيفية تنظيم واستخدام القوة.

وفي هذا السياق سنلقي نظرة على أربع من هذه النظريات التي تشكل العالم:

١ - نظرية راتزل.

٢ - نظرية ماكندر.

٣ - نظرية ماهان.

٤ - نظرية سبيكمان.

١- نظرية راتزل ١٨٤٤-١٩٠٤ الدولة كائن عضوي (الحدود الشفافة والحدود الصلبة)	٢- نظرية ماكندر ١٩٠٤ • منظمة قلب العالم • من يسيطر على قلب العالم يسيطر على الجزيرة العالمية ومن يسيطر على الجزيرة العالمية يسيطر على العالم)	٣- نظرية ماهان ١٩١٤-١٩٤٠ • قوى البحر هي التي تتغلب دائماً على قوى البر	٤- نظرية سبيكمان ١٩٤٠ ضبط نظام العالم عبر مسارين الأول: صنع نظام عام لتوازن القوى كالأمم المتحدة الثاني: من يسيطر على الهلال الداخلي في الجزيرة العالمية يسيطر على العالم (السياسة الدولية اليوم تدار بهذه النظرية)

أهم نظريات الجيوبوليتيك

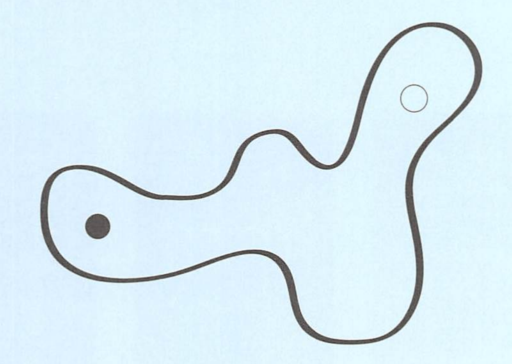
الجيوبوليتيك هي في جوهرها دراسة للإقليم عبر دورة تاريخية كاملة لرسم معالم شخصيته، آخذة في الاعتبار العلاقات البيئية للجغرافيا والتاريخ والسياسة والاقتصاد وكيفية تفاعلها.

وفي هذا السياق سنتناول أهم النظريات المؤثرة في الفكر السياسي حتى الآن وإن أنكرها البعض.. ولكن الممارسة العملية لها على الأرض تبقى هي الأصدق ولنبدأ بأول هذه التصورات.

نظرية راتزل (Ratzel 1844 - 1904)

«لا توجد حدود صلبة (البقاء للأقوى)»

في كتابه الجغرافيا السياسية، والذي ظهر عام ١٨٩٧، قدم راتزل فكرته الكبرى، بأن الدولة كائن عضوي يكبر وتزداد احتياجاته باستمرار، وأن الحدود هي أشبه بجلد الكائن العضوي، والذي يجب أن يتمدد باستمرار مع نموه.



الدولة كائن أميبي يتبلع
ما يحتاجه من الجوار

لم يكن راتزل يتحدث من فراغ، فقد كانت ألمانيا حينها تموج بالنشاط الصناعي، وهي بحاجة للمواد الخام والأسواق، وبالتالي قدم راتزل نظريته لتكون في خدمة ألمانيا. فالحدود هنا ليست نهايات الدول، ولكنها محطة من محطات نمو الدولة، فكلما كبرت احتياجات الدولة حق لها أن تلتهم جيرانها لتواصل نموها.

والنظرية أعطت مبرراً للحراك النازي الكبير لاجتياح أوربا، ورغم أن العالم استقر بعد الحرب العالمية الثانية نظرياً على ثبات الحدود وضرورة احترامها، ولكن عملياً بقيت الحدود سيالة، ولا زالت التغييرات الحدودية جارية في العالم، واستعيض عن فكرة الحدود المادية بفكرة الحدود الشفافة.

والحدود الشفافة تعني أن الدول تتدخل حيث توجد مصالحها، وأن سيادة الدول القانونية لا تعني سيادتها الفعلية، وبهذه الذريعة توجد القوى العظمى في كل العالم، بحجة حماية مصالحها، وتستطيع أن تتدخل في نزاع حدودي، أو داخلي للدول الأقل حظاً.

الحدود البيولوجية الشفافة:

رغم أن القانون الدولي يتحدث عن الحدود الثابتة والمرسومة، ولكن الفعل السياسي على الأرض يختزن مفهومين نقيضين، وهما الحدود البيولوجية والحدود الشفافة.

الحدود البيولوجية:

فمفهوم الحدود البيولوجية والذي يعرف الحدود بأنها متحركة، تعتمد على احتياجات الدولة، فإن كبرت الدولة وزادت احتياجاتها زادت من رقعتها على حساب الدول المحيطة، واقتطعت من أراضي الآخرين عبر أنواع الاحتلال الظاهر والمعروف، والذي تعّرف الدول الواقعة تحته بالدول المحتلة، أو تحت الوصاية، أو تحت الانتداب، هذا المفهوم استبدل بمفهوم الحدود الشفافة.

الحدود الشفافة:

حدود الدول أصبحت ممتدة إلى حيث تقف مصالحها، وبالتالي فوجود الدول على أراضي دول أخرى بالترغيب أو بالترهيب، وفرض سياساتها وتحكمها في ملفات دول تبدو مستقلة في الشكل، حيث تظل الدول نظرياً كاملة السيادة ومستقلة، وهو بات أمراً مألوفاً. لننظر مثلاً الحضور الأمريكي في ملف الجنوب السوداني، أو لننظر مثلاً لمناقشة الكونجرس الأمريكي لحقوق الإنسان أو المرأة في بعض الدول، أو حضور أمريكا في ملف التبت أو ميدان تيانان من الصيني (في الصين) أو الحضور الفرنسي في تشاد، أو الحضور الصيني والأمريكي في الملف الكوري لنعرف معنى الحدود الشفافة.

نظرية ماكندر (Mackinder 1904)

«منطقة الارتكاز (قلب العالم)»

الجغرافي البريطاني ماكندر هو أول من وضع نسقاً تصورياً للتفكير في العالم كوحدة سياسية واحدة قابلة للتحكم وحاول أن يقدم مفاتيح اللعبة السياسية الكبرى وكيفية إدارتها.. وكل المحاولات بعده خضعت للصورة التي وضعها رغم اختلاف الاستنتاجات وسنحاول أن نبسط ما قال ماكندر بقدر المستطاع وسنتناول ذلك في خطوات:

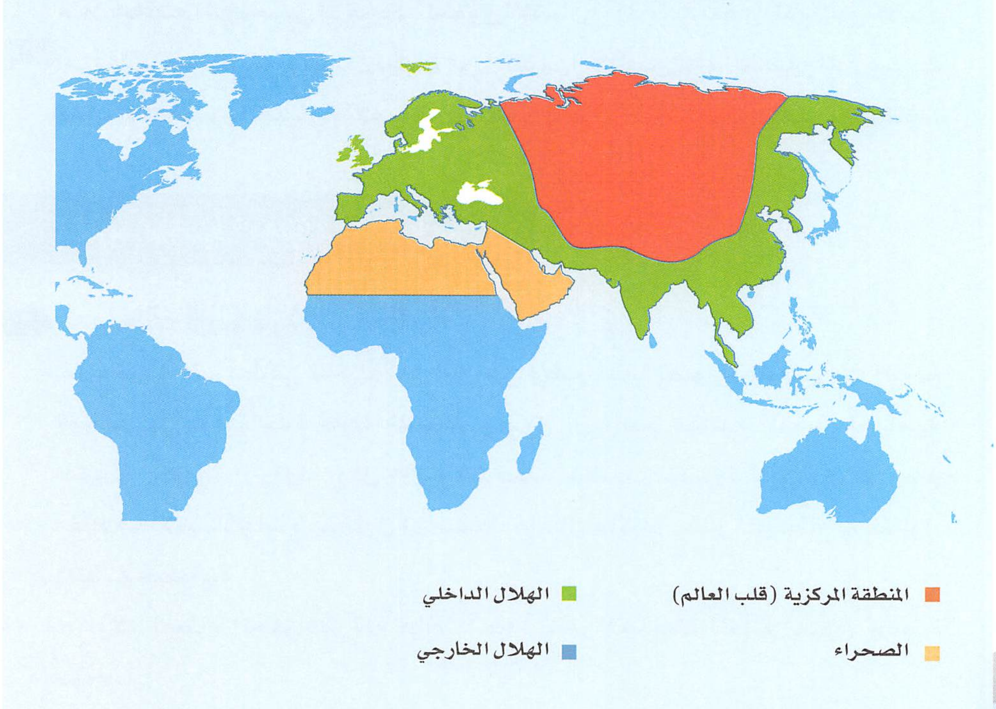
» أولاً: إعطاء الجغرافيا لغة عامة: حين تنظر لخريطة العالم بعيون جديدة ستجد:

١ - قطعة من الأرض عملاقة ومتصلة تحيط بها المياه من كل جانب، هنا يعيد وصف آسيا وأوروبا وافريقيا باعتبارها قطعة أرض عملاقة متصلة تحيط بها المياه من كل جانب وسيطلق عليها (الجزيرة العالمية)، فهي بالوصف الجغرافي تحيط بها مياه المحيط الشمالي المتجمد والجنوبي المتجمد والمحيط الأطلنطي والمحيط الهادي.

٢ - هناك جزر متناثرة تحيط بهذا الكائن العملاق (الجزيرة العالمية) مثل اليابان واستراليا والأمريكتين وبريطانيا.

٣ - العالم إذن هو (جزيرة عالمية) تحيط بها جزر على أطرافها.

» ثانياً: استنطاق الجغرافية عبر بوابة التاريخ: يطرح ماكندر في ضوء حركة القوى الإمبراطورية عبر التاريخ سؤاله الجريء (أين كانت أكثر المناطق حصانة عبر التاريخ؟) ويصل إلى أنها منطقة الاستبس القاري الممتدة عبر روسيا إلى حدود الصين وأوروبا الشرقية ويسميها (منطقة الارتكاز الجغرافي للتاريخ) ويحيط بها هلال داخلي ثم يتبعه هلال خارجي وسيطلق على منطقة الارتكاز لفظ (قلب العالم).



■ المنطقة المركزية (قلب العالم) ■ الهلال الداخلي

■ الصحراء ■ الهلال الخارجي

هذه المنطقة (منطقة الارتكاز العظمى) لها مواصفات، فهي يمكنها إنشاء إمبراطورية عظمى لا تعتمد على السواحل، وتستطيع التماسك مستغنية عن البحر، وتتميز منطقة قلب العالم بأنها قريبة من كل مصادر القوى الموجودة في الجزيرة العالمية، وكل ما تحتاجه للوصول إليها هو وجود الطرق البرية، مما يجعلها قادرة على التحرك العسكري، والتجاري، والاقتصادي بكلفة أقل من القوى البحرية، وفي ذات الوقت منطقة عميقة وحصينة من الناحية العسكرية - على الأقل عندما وضعت فكرة قلب العالم - وهي في نظريته تشمل أوكرانيا وروسيا الغربية ووسط أوربا، وسيطلق عليها قلب العالم أو محور العالم.

وهي بسيطرتها على القلب العالمي تكون قادرة على السيطرة على الهلال الداخلي المتمثل في شرق أوروبا وجنوب وشرق آسيا، وبالتالي تتحكم في الجزيرة العالمية التي هي أغنى مناطق العالم بالموارد والأسواق والزراعة، وبالتالي ينهار الهلال الخارجي (الأمريكتان والجزء الجنوبي من افريقيا واستراليا) ويسقط تحت سيطرتها.

ومن هنا يقدم ماكندر نظريته:

من يسيطر على أوربا الشرقية (بيلو روسيا واستونيا ولاتفيا وليثوانيا ومولدافيا واوكرانيا) يستطيع السيطرة على قلب العالم.

ومن يسيطر على قلب العالم (المنطقة التي كان يحتلها الاتحاد السوفييتي) يسيطر على الجزيرة العالمية.

ومن يسيطر على الجزيرة العالمية (أوربا وآسيا وافريقيا) يسيطر على العالم.

ومن هنا تولدت ثنائية قوى البر (منطقة الارتكاز) وصراعها مع قوى البحر (الهلال الخارجي) حول السيطرة على الجزيرة العالمية (الهلال الداخلي)، والتي هي الكعكة التي يتم التنافس عليها لحكم العالم. وقوى البر المعتبرة في المنظور الغربي هي ألمانيا وروسيا، وقوى البحر هي أمريكا الشمالية وبريطانيا واليابان.

وبالتالي تولد الصراع الدائر منذ الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم، متمركزاً في محاولات قوى البر ممثلة في روسيا أن تسيطر على أوربا الشرقية، والتقدم نحو الهلال الداخلي. ومحاولة قوى البحر تطويق تحركها ومنعها من السيطرة عليه.

هكذا سارت الأمور في الحرب العالمية الأولى، بتقدم ألمانيا شرقاً لمحاولة الوصول لقلب العالم، ومن بعدها تحرك الاتحاد السوفييتي وسيطر على أوربا الشرقية وحاول التمدد للهلال الداخلي، وباستمرار تدخلت القوى الغربية وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا لوقف الألمان، ومن بعدهم الاتحاد السوفييتي من التقدم. ولا زالت عملية المد والجزر جارية إلى يومنا (هذا).

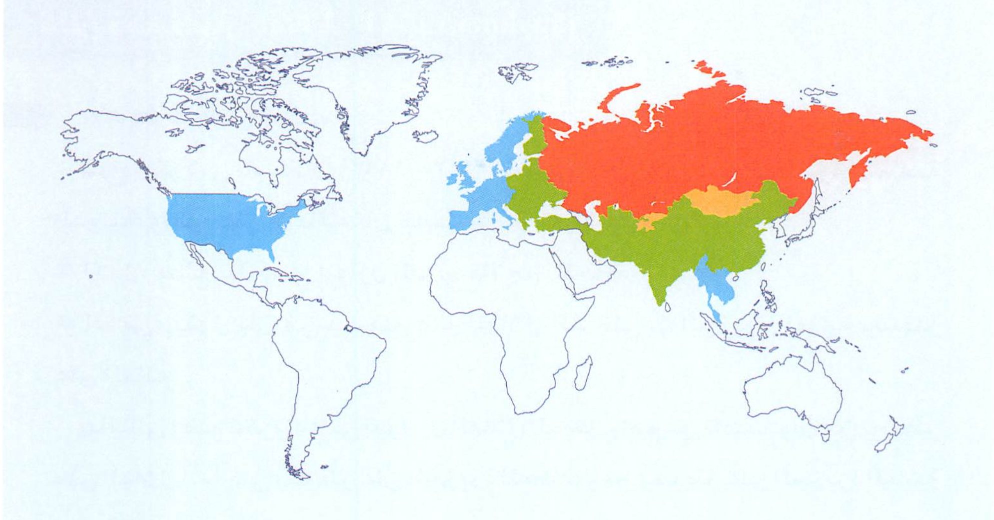
والمركزية التي أعطاها ماكندر لقلب العالم، بنيت على أن الحروب تخاض بالأسلحة البرية والأسلحة البحرية، وحيث أن قوى البحر التقليدية يصعب عليها تهديد المناطق العميقة في قلب العالم المحصن بالجبال والصحاري، فالتفوق سيكون لقوى البر. ولم يدر بخلد ماكندر التطورات الكبرى التي ستحدث في مجال الطيران والأسلحة الصاروخية وأسلحة الدمار الشامل، والتي جعلت منطقة قلب العالم رخوة أمام هذه التطورات.

اعتقد البعض مع التطور الصاروخي والجوي أن نظرية ماكندر قد تهاوت، والحقيقة أن مفاهيمها الكبرى ما زالت قائمة حتى يومنا هذا، فجوهر الصراع الجغرافي ما زال يدور وفي عمقه حول فكرة تطويق روسيا، والصراع على الجزيرة العالمية هو أساس تحرك قوى البحر، وخوفها من قوى البر القائمة والقادمة.

نظرية ماهان (1914 - 1940 Mahan)

«قوى البحر تتفوق دائما»

ومن أمريكا أوضح ماهان، وهو الأميرال ألفريد ماهان من القوات البحرية الأمريكية أثر القوى البحرية في التاريخ بأن قوى البحر هي التي تتفوق دائماً على قوى البر. حيث أن قوى البحر أكثر حصانة لإحاطة المياه بها من كل جانب، وهي التي تتحكم في حركة التجارة البحرية أثناء السلام و الحرب، وهي مقولة تعاكس ما ذهب إليه ماكندر.



وطرح ماهان ستة شروط لإنشاء قوة بحرية:

١ - ميزة التموضع الجغرافي.

٢- شواطئ مناسبة للموانئ وموارد كبيرة ومناخ مناسب.

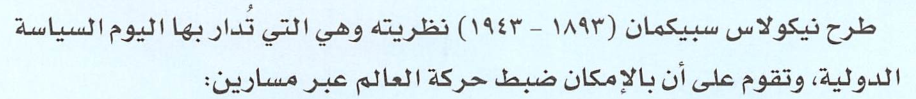
٣- مساحة كبيرة من الأرض.

٤- كتلة سكانية تسمح بالدفاع.

٥- مجتمع مولع بالبحر والتجارة.

٦- حكومة راغبة بالهيمنة على البحار.

وسيتبنى هذه النظرية الرئيس روزفلت الرئيس الثاني والثلاثون لأمريكا (١٨٨٢ - ١٩٤٥).



نظرية سبيكمان (Spykman 1943 - 1893)

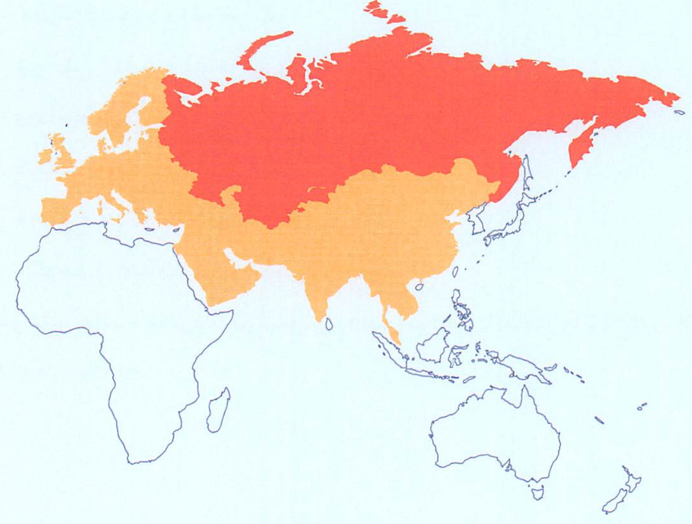
«ضبط حركة العالم»

طرح نيكولاس سبيكمان (١٨٩٣ - ١٩٤٣) نظريته وهي التي تُدار بها اليوم السياسة الدولية، وتقوم على أن بالإمكان ضبط حركة العالم عبر مسارين:

- الأول: صُنع نظام عام لتوازن القوى كالأمم المتحدة.
- الثاني: يقول بأن من يسيطر على الهلال الداخلي في الجزيرة العالمية يسيطر على العالم.

وبالتالي وضع نظريته التي تقول أن الهلال الداخلي أهم من القلب، وأن من يسيطر على الهلال الداخلي يسيطر على الجزيرة العالمية، ومن يسيطر على الجزيرة العالمية يسيطر على العالم.

ها هنا برز مفهوم السيطرة على الهلال الداخلي أو أرض الحافة كأساس للسيطرة على العالم. ويبرر سبيكمان اختياره بقوله أن الكثافة السكانية والموارد تقع كلها في الهلال الداخلي (معظم قارة أوربا والعالم العربي وإيران وأفغانستان والصين وجنوب شرق آسيا وكوريا وشرق سايبيريا.)



وبالنسبة لسبيكمان فإن الصراع التاريخي كان يتم بين أرض الحافة أو الهلال الداخلي وقوى البحر، وبالتالي قال «من يسيطر على نطاق الحافة (الهلال الداخلي) يسيطر على أوربا وآسيا، ومن يسيطر على أوربا وآسيا يسيطرعلى العالم.

وسنرى تطبيقات أمريكا لمفهوم قوى البحر، وفكرة السيطرة على الهلال الداخلي لاحقاً.

الخلاصة

أصبح هناك مفهوم لتوسع الدول عبر نظرية (الدولة كائن عضوي) على حساب الآخرين، ومعه توسع مفهوم المجال الحيوي للدولة. فبعد أن كان الأرض التي تشكل إقليم الدولة المعترف به رسمياً، أصبح الأمر ممتداً بمفهوم الحدود الشفافة ليصبح في قلب كل دولة، أو جزءاً من المعمورة تستشعر الدولة أن مصالحها توجد فيه.

وبتقسيم العالم لقلب وهلال داخلي وهلال خارجي، أصبح الهلال الداخلي باستمرار منطقة فعل قوى البر وقوى البحر، أو أصبح بين حجري الرحى تدوران فتعصفان به مع كل دورة.

ستركز الولايات المتحدة سياساتها الكونية لحرمان القلب والذي تشكله روسيا اليوم وأي قوة أخرى من السيطرة على الهلال الداخلي، وستعتبره حقاً للولايات المتحدة الأمريكية أو إمبراطورية العالم الجديدة.

وستصبح الأمم المتحدة هي أداة أمريكا لضبط السياسة الدولية. وسيلعب القانون الدولي بمعنى من المعاني كقوة أخلاقية، تلجأ إليها كل القوى لتجريم الأفعال التي تقع على الصغار في العالم. وهو آلة حشد دعائية ضخمة لصالح المستضعفين.

لكنه من زاوية أخرى لا يمتلك أدوات تنفيذ المقررات الأخلاقية. وهذا ما يجعله تحت رحمة القوى العظمى. فهو قانون لا أب له.

ها نحن قلنا إن الفكر الجيوبوليتيكي سيحرك العالم اليوم وغداً، أو على الأقل سيحول حركته العفوية لحركة مقننة خاضعة للنظرية ومنسجمة معها.

ملخص الفصل الرابع

١ - نظرية راتزل

١٨٤٤ - ١٩٠٤

الدولة كائن عضوي (الحدود الشفافة والحدود الصلبة)

٢ - نظرية ماكندر ١٩٠٤

نظرية قلب العالم (من يسيطر على قلب العالم يسيطر على الجزيرة العالمية ومن يسيطر على الجزيرة العالمية يسيطر على العالم)

٣ - نظرية ماهان

١٩١٤ - ١٩٤٠

قوى البحر هي التي تتغلب دائماً على قوى البر

٤ - نظرية سبيكمان ١٩٤٠

ضبط نظام العالم عبر مسارين الأول: صنع نظام عام لتوازن القوى كالأمم المتحدة الثاني: من يسيطر على الهلال الداخلي قي الجزيرة العالمية يسيطر على العالم (السياسة الدولية اليوم تدار بهذة النظرية)

أهم نظريات الجيوبوليتيك

الفصل الخامس

الاقتصاد والسياسة والأمن القومي

بنية الاقتصاد العالمي وأثرها على السياسة العالمية

قبل أن نتكلم عن بنية العالم الاقتصادية، سنحاول أن نرسم مسار التحولات الكبرى التي أدت لنشوء التقسيمات غير المتوازنة للاقتصاد العالمي، والتي جعلت أوربا والغرب عموماً هو المركز، بينما بقي العالم هو مسرح الفعل الغربي.

تطورات أوروبا واختلال ميزان القوة:

منذ عصور طويلة كانت الهند والصين والممرات الآسيوية، عبر طريق الحرير وبحار آسيا وافريقيا هي شريان الحياة لأوربا، أو مرور التوابل (ذهب العصر) والحرير الصيني.

فكانت القوافل البرية والسفن البحرية تفرغ حمولتها في موانئ البحرين الأحمر والمتوسط، ومنها تنتقل عبر إيطاليا إلى أوربا.

وجاء القرنان الرابع والخامس عشر الميلادي بتحولات كبرى لصالح أوروبا على حساب بقية دول العالم أهمها:

- سعي أوربا لاكتشاف طريق بحري للهند والصين، واكتشاف طريق الرجاء الصالح.
- اكتشاف الأمريكتين وثرواتهما، وذهب أمريكا الجنوبية.
- اختراع المطبعة وانتشار العلم في أوربا، وبدايات المطالبة بالتغيير في مقاربة العالم من مركزية الله إلى مركزية الإنسان، أو بدايات عصر النهضة وإرهاصاته.
- تطور الموانئ الأوربية وزيادة نشاطها، وبالتالي الحاجة للعمالة التي جاءت من الأرياف والتي ساهمت بدورها في افقار النبلاء.

» نشوء الطبقة الوسطى وبدء الأفكار التحولية، ومطالب الحرية والتجارة، وإعادة تنظيم الفضاء السياسي والاقتصادي.

وتلاه القرن السادس عشر وتعمقت التحولات التي بدأت من القرن الرابع عشر حيث ولدت أفكار النهضة،والتوجه لتحرير ممكنات الإنسان، والاتجاه لممكنات الإنسان، وحركة الأنسنة وهي الاتجاه للفن والأدب، ونقاش الأفكار الدينية المسيطرة والتي لم تعد حصينة.

وفيه تعمقت فكرة ضرورة الاتجاه للبحث في عالم الشهود أو الدنيا، بدل البحث في عالم الدين ومنطق الدفاع عنه. وانعكس ذلك على الكتابات الأدبية مثل: الكوميديا الإلهية لدانتي (المتوفي سنة ١٣٢١)، والأعمال الفنية لمايكل آنجلو (المتوفي سنة ١٥٦٤) والذي كان رساماً ونحاتاً ومهندساً، وديفينشي (المتوفي ١٥١٩).

وبدأت الثورات الدينية وحركة الاحتجاج على الكنيسة على يد مارتن لوثر (المتوفي عام ١٥٤٦).

وحركة الأنسنة في عصر النهضة كانت نشاطاً إصلاحياً ثقافياً وتعليمياً قام به المعلمون والكتاب والقادة الاجتماعيون، والذين نسميهم اليوم (الإنسانيون). وكانت ردة فعل للتعليم المدرسي في العصور الوسطى، وتركزت ردة الفعل على أهمية التعليم العملي، والتهيئة المسبقة للمحترفين والدراسة العلمية، وإعداد المتعلمين ليصبحوا أطباء ومحامين ومتكلمين. هكذا وضعت لبنة جديدة للتحول الأوروبي.

وفي نهايات هذه المرحلة سيسدل الستار عن العصور الوسطى لتبقى ظلالها، فسيثبت نيكولاس كوبرنيكس (المتوفي ١٥٤٣) أن الأرض ليست مركز الكون، وبالتالي خطأ «الكتاب المقدس»، وسيتبعه جاليليو (المتوفي سنة١٦٤٢) ليثبت بتلسكوبه أن الأرض تدور حول الشمس وليس العكس، وبالتالي سقطت سلطة الكنيسة عن الحياة العلمية، وأصبح الوثوق بالعلم أكبر من الوثوق بالكتاب المقدس وشروح الكنيسة للكون.

وسيأتي ديكارت (المتوفى سنة ١٦٥٠) ليكتب صك الوفاة للعصور الوسطى في تأملاته الجذرية معتمداً على سلطة العقل.

ولو لخصّنا جملة التغيرات، سنكتشف أن القرن السابع عشر كان عصر افتتاح العصور الأوربية الحديثة بامتياز.



تفوق عسكري أوروبي على دول العالم

الخلاصة (من القرن 14-17)

التحولات الكبرى في القرن السابع عشر، وهو القرن الأكثر أهمية في صنع العالم الحديث. فها هو غاليليو (المتوفي سنة ١٦٤٢) ونيوتن (المتوفي ١٧٢٧م) يؤسسان العلوم الحديثة. وهنا بدأ ديكارت الفلسفة الحديثة، وهذا هوغو غروتيوس يؤسس للقانون الدولي، وها هما توماس هوبز (توفي ١٦٧٩) وجون لوك (توفي ١٧٠٤) قد بدءا النظرية السياسية الحديثة.

في نفس القرن ستظهر مركزية قوية في الدول الأوربية، وستدخل حيز المنافسة الدولية في جميع أنحاء العالم من أجل الثروة والسلطة، وتسريع وتيرة الاستيطان في أميركا وآسيا. وستسعى دول هولندا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وانجلترا لتوسيع المستعمرات وتداول المشاركات في زوايا بعيدة من العالم، مع عواقب عميقة ودائمة للعالم بأسره.

كما حاربوا بعضهم البعض في أوروبا، حيث نمت الحرب التي تزداد تعقيداً وتكلفة. للحصول على ميزة ضد القوى الأخرى في الحرب، وبدأت العقلية الأوروبية واثقة بالعقل والعلم وواثقة من الآفاق غير المتناهية التي ينتجها.

أوروبا القرن الثامن عشر أو عصر التحولات السريعة

أثمرت عملية الحراك الأوربي تطورات كبرى لصالح أوربا، وبدأت تأخذ شكلها الأوضح في هذا القرن، فقد كان القرن الثامن عشر فترة الهياج الفكري والاجتماعي والسياسي. وكثيراً ما يشار إلى هذا الوقت بعصر التنوير الذي انتشرت فيه الأفكار التي حضرت في المئة سنة السابقة على نطاق واسع.

ففي الأوساط الأكاديمية، بدأت حقول جديدة نسبياً في حساب التفاضل والتكامل والميكانيكا على التأثير في التفكير في الآليات التي تحكم الكون. وفي السياسة قادت أفكار جون لوك وتوماس هوبز، وغيرهما إلى فكرة الديمقراطية التي من شأنها أن تحل في نهاية المطاف هياكل السلطة الملكية في القارة الأوروبية.

وبحلول نهاية هذا القرن، وفرت أفكار آدم سميث الاقتصادية الأساس الفكري لتطور الرأسمالية الحديثة.

للمرة الأولى يصبح العلم جزءاً أساسياً من الخطاب العام. فحتى ذلك الحين كان البحث العلمي يدور بين مجموعة صغيرة نسبياً من الأكاديميين، ولا تتداول البحوث على نطاق واسع. وفي نهاية القرن السابع عشر بدأ هناك تطور في الأوساط الأكاديمية ذو شقين، وهو ما سيُحدث تحولاً سريعاً للمعرفة العلمية. كان أول ما أُسس أكاديمية باريس، والجمعية الملكية في لندن، والمؤسستان كان الغرض الرئيسي منهما إجراء البحوث العلمية وتقرير نتائجها على الجمهور.

على مدى العقود المقبلة، سيتم تأسيس العديد من المؤسسات الأخرى على غرارهما، بما في ذلك أكاديمية برلين، وسانت بطرسبورغ الأكاديمية، وجمعية تورينو، وغيرها الكثير.



إنتشار العلم والرغبة فيه لدى العامة

وكان التطور الرئيسي الثاني في الحياة الأكاديمية صعود المجلات العلمية. وغالباً ما تنتج هذه المنشورات من قبل الأكاديميات نفسها، على الرغم من إنتاج عدد لا بأس به بصورة مستقلة، وعممت هذه المجلات الجديدة لجمهور واسع ضم العديد من خارج المجتمع العلمي.

ولدت أول المجلات التي تعمم العلم على الجماهير وهي (مجلة العلوم الشعبية)، لتقوم بالإعلان عن النتائج العلمية لجمهور من غير المتخصصين. بحلول منتصف القرن الثامن عشر، كانت الثورة العلمية على قدم وساق، وقد تم تجميع عقود من البحوث وضمان إبلاغها للجمهور. وتطور علم الرياضيات والبصريات والميكانيكا والمدفعية والعلوم البحرية والفلك، وهكذا أصبحت أوروبا على قمة العالم معرفيا وانعكس كل ذلك على قدراتها التوسعية.

المرحلة الأولى من الثورة الصناعية (1750-1850)

- ثورة في الزراعة.
- الابتكارات التكنولوجية.
- صناعة الغزل والنسيج.
- المحرك البخاري.
- إنتاج الحديدية.
- قدرات البناء والتصميم.
- السكة الحديد.
- الرأسمالية الصناعية.

المرحلة الثانية من الثورة الصناعية (1850-1914)

- الصلب والكيماويات والنفط.
- الفولاذ.
- محرك الاحتراق الداخلي والسيارات.

» التلغراف والفونوغراف والهاتف.

» أول طائرة.

أَمَّن كل ذلك لأوروبا التفوق في كثافة الإنتاج، وفي الحركة وفي الاتصال، وفي كثافة النيران عند القتال بما لايقارن مع دول العالم الأخرى.

فعبرالآلة تمكن الأوروبي من إنتاج آلاف القطع من الملابس بأقل جهد بشري، وسيمكنه من إيصالها للأسواق بأقصر وقت ممكن وبأقل الأسعار.

وبقوته العسكرية التي أسهمت فيها قوة الآلة أصبح الأوروبي قادراً على احتلال البلاد وتأمين الأسواق والمواد الخام، بل وحتى العمالة البشرية لمزارعه ومصانعه بأقل الأسعار.

هكذا تهيأت أوروبا لتصبح

» قوة إنتاج عملاقة.

» تحتاج بالضرورة لمواد خام كبيرة.

» تحتاج لأيدٍ عاملة.

» تحتاج لأسواق لتصريف المنتجات.

» وتحتاج لتأمين استمرار هذا التفوق.

لقد ولّدت هذه المطالب والتحولات نظام العالم الاقتصادي المعاصر، والذي يمكن تقسيمه إلى:

دول القلب أو المركز:

» اقتصاد متوازن زراعي، صناعي، وخدمي.

» حكومات مركزية قوية، وبيروقراطية عريقة، وقوات مسلحة قادرة.

» مؤسسات اقتصادية كبيرة.

» عوائد ضريبية كبيرة لتمويل المشاريع والخدمات.

» تصنيع للبضائع، وليس إنتاجاً للمواد الخام.

» تخصص في المعلومات والتمويل والصناعة الخدمية.

» الأسبقية في مجال التكنولوجيا الجديدة والصناعات الحديثة.
» برجوازية قوية وطبقة عاملة واسعة.
» نفوذ على دول الأطراف.
» استقلال في القرارات وتحصين من النفوذ الأجنبي.

هذه الدول تتنافس على موارد العالم والسيطرة على دول الأطراف، وأحياناً تظهر في حركة التاريخ قوة واحدة مسيطرة بوضوح دون منازع، وهذا التفوق يأخذ أبعاداً ثلاثة، تفوق في الإنتاج كما ونوعا يقود – ربما - لتفوق في التبادل التجاري والذي يقود بدوره لتفوق اقتصادي، وينتج عنه مزيدٌ من السيطرة على العالم.

أما التفوق العسكري فتاريخياً ليس هو سبب التفوق الاقتصادي، بل هو نتيجة له. وحين يزيد الإنفاق العسكري بسبب التوسع غالباً ما تتقلص الإمبراطوريات وتضعف.

دول الأطراف:

» وهي دول تتصف باختلال الهيكل الاقتصادي.
» حكومات ضعيفة نسبياً.
» مؤسسات ضعيفة نسبياً، وعوائد ضرائب لا تدعم البنية التحتية بشكل كافٍ.
» غالباً ما تكون معتمدة على استخراج و تصدير مواد خام لدول المركز.
» وعادة ما تكون ذات بنية تصنيعية ضعيفة.
» وهي مستهدفة باستمرار من قبل الشركات العابرة للجنسيات، والمتعددة الجنسيات من دول المركز لاستخدام العمالة الرخيصة فيها.
» فيها برجوازية ضيقة وطبقة فلاحية كبيرة..
» فيها نسبة كبيرة من الفقر والأمية.
» اختلال المساواة الاجتماعية، وتحكم طبقة تحتكر الأرض ووسائل الإنتاج، والعلاقة بالشركات العابرة للقارات.
» تخضع بشكل كبير لدول المركز والشركات العابرة للقارات أحياناً لدرجة التضحية بمصالح المجتمعات المحلية لصالح دول المركز ورفاهيتها.

دول بينية:

وهي دول تقع بين المركز والأطراف. وتتحرك نحو التصنيع والتنويع الاقتصادي، أو التوازن في الهيكل الاقتصادي، وهي دول نسبياً متحركة في النمو، ولكنها لم تصل إلى التفوق في التبادل الاقتصادي العالمي. وهي أكثر حصانة من التدخل الخارجي. ويرى البعض أنها تظل تدور في فلك المركز.

تمارس الدول البينية أيضاً السيطرة والتدخل في دول الأطراف، وتلعب دور الوسيط بين المركز والأطراف أحياناً، وبالتالي ترفع الضغوط عن دول المركز مما يؤدي لاستقرار الأمور على أوضاعها.

وهذه الدول إما أن تكون قادمة نتيجة تطور دولة من دول الأطراف، أو نتيجة تآكل قوة قديمة من دول المركز كأسبانيا والبرتغال، ولكنها لا زالت تلعب دوراً في أمريكا اللاتينية.

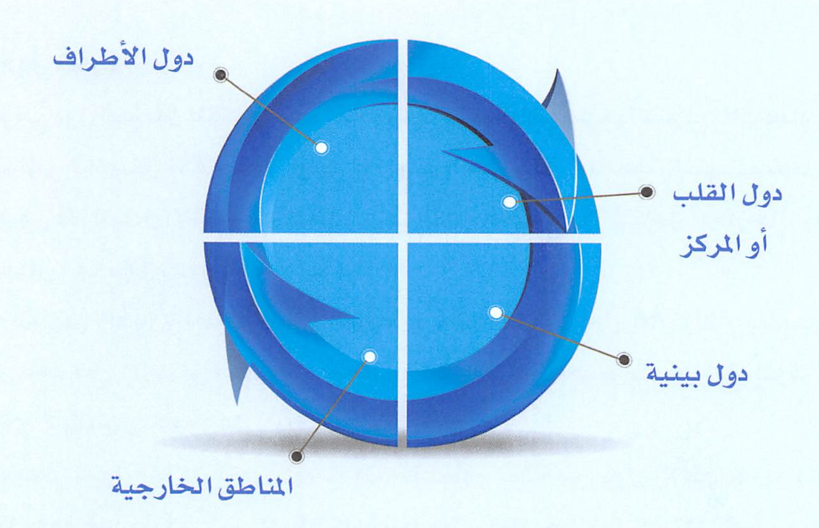
المناطق الخارجية:

وهي دول تحتفظ باقتصادها الذاتي، ولم تصبح جزءاً من النظام العالمي، وتعتبر دولاً متمردة على النسق العام. وهي دول محاصرة ومنبوذه من قبل الأقوياء. بنت لها اقتصاداً مغلقاً نسبياً، وبطبيعة الحال بدائياً بالنسبة للاقتصاد العالمي، ولكنه يسمح لها بمقاومة الضغوط. وغالباً هي دول تحمل أيديولوجيا مقاومة للغرب، وبالتالي تعتبر من الدول المارقة عن النظام الدولي، مثل: إيران وكوريا الشمالية في وقتنا.

فالنظر للعالم كنظام، وليس كأجزاء منفصلة مهم للمتعمق في السياسات الدولية، وللمهتم بأثر الاقتصاد على السياسة في العالم.

ملاحظة:

تسعى الدول المتقدمة الغربية اليوم للاحتفاظ لنفسها بمهام التكنولوجيا الدقيقة والبحوث والتطوير. أما المصانع وغيرها فتوزع على دول العالم بحسب العائد الاقتصادي، ورخص الأيدي العاملة.



ترتيبات النظام الاقتصادي العالمي

الأمن القومي

أول مهام أي حكومة هو ضمان وجود الدولة واستقرارها، وهي تستخدم لتحقيق هذا الهدف كل الوسائل الاقتصادية والعسكرية والدبلوماسية، ولحظة ميلاد المصطلح تركز الاهتمام على العنوان العسكري، بينما يمتد اليوم ليشمل أبعاداً متعددة، منها العسكري، والاقتصادي، والقيمي.

والدول تحتاج أن تؤمِّن الاقتصاد والطاقة والمناخ ليس فقط من الدول المعادية، بل ومن كل اللاعبين مثل الكارتيلات الاقتصادية، والمؤسسات العابرة للقارات، والمنظمات غير الحكومية، وحتى من الكوارث الطبيعية وذلك يعني عملياً:

- ضمان القوة الاقتصادية.
- ضمان القوة العسكرية.
- الاستعداد لحالات الطوارئ المدنية، ومواجهة الإرهاب.
- ضمان البنية التحتية الكافية لمواجهة الطوارئ.
- مواجهة أعمال التجسس والتخريب الداخلي.
- ضمان المعلومات الخارجية الاستخباراتية.

تعريف الأمن القومي:

لا تخرج تعريفات الأمن القومي عن ضمانات بقاء الدولة وأمنها واستقلالها، وقد بدأ المصطلح بالتركيز على الأمن من التهديدات العسكرية والتدخل السياسي، أو الإملاءات السياسية من الآخرين، ليطال موضوع ضمان المصالح الشرعية للدولة أينما كانت، وموضوع حماية قيم الدولة وأسلوب عيشها وحماية مناخها.

والجيش الأمريكي يُعرّف الأمن القومي بأنه مصطلح يشمل الدفاع الوطني، والعلاقات الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، وبشكل خاص مواجهة أي تهديد داخلي أو خارجي للوطن ظاهر أم باطن.

وقدم باراك أوباما تعريفاً للأمن القومي، يقول: «أمان الولايات المتحدة وشعبها وحلفاؤها وشركاؤها، وتطوير الاقتصاد الأمريكي في ظل نظام دولي غني بالفرص والرفاه، واحترام قيم أمريكا الإنسانية العالمية، واحترام النظام العالمي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، والتي تروج للسلام والأمن والفرص من خلال التعاون لمواجهة التحديات الكونية.

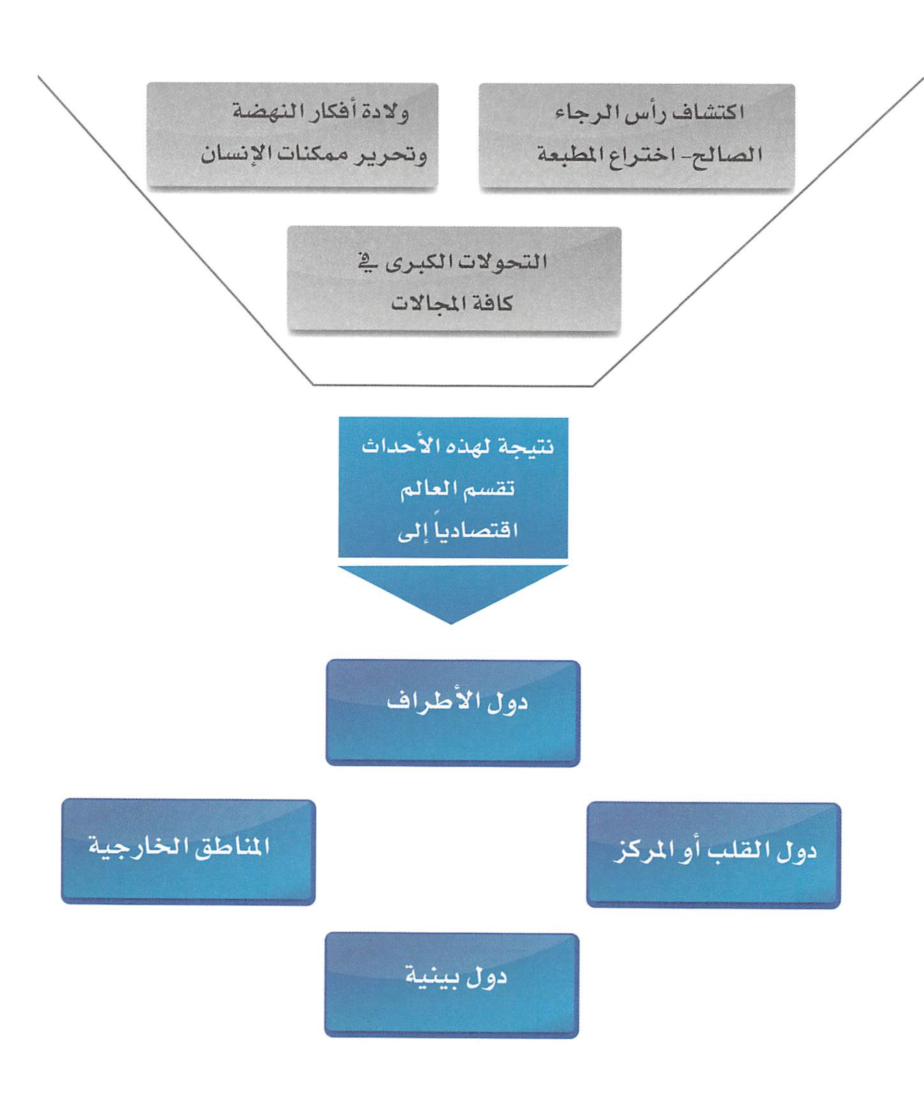
إذن هي منظومة تحتوي على أمن أمريكا وحلفائها وشركائها، كما تعني الاقتصاد وتطوره، وتعني منظومة القيم الأميركية، وتعني ضمان القيادة الأمريكية للعالم.

ولكن في كل ذلك نلحظ أن الأمن القومي يمتد خارج الحدود، فهو يشمل عند دولة مثل: الولايات المتحدة من ناحية الدول: الحلفاء والشركاء، ومشروع قيادة العالم، ويشمل المصالح الاقتصادية ومصادر المواد الخام بالإضافة للشؤون الداخلية طبعاً.

ويشمل كذلك الغطاء الأخلاقي، وهي القيم الإنسانية العليا التي تمثلها الولايات المتحدة الأمريكية.

وتحت ذريعة الأمن القومي تصبح فكرة الحدود الصلبة للدول لا معنى لها، وتحل بدلاً عنها فكرة الحدود الشفافة، والتي تعني التدخل في أي مكان وأي زمان بحجة الأمن القومي.

ملخص الفصل الخامس



كيف تشكل العالم اقتصادياً

القسم الثاني

تطبيقات الجيوبوليتيك في العالم





الفصل السادس

الجيوبوليتيك

بنية الاقتصاد العالمي وأثرها على السياسة العالمية

لقد قدّمنا أن الجيوبوليتيك هو فرع من الجغرافيا السياسية، والتي تدرس الدولة والحكومة والوحدة السياسية والسيادة، وبنية التنظيم السياسي الداخلي وعلاقته بالجغرافيا. بينما الجيوبوليتيك يدرس علاقة الدولة بمحيطها الخارجي وسياساتها الخارجية وتصورها عن ذاتها وعن المحيط، وتأثيرها وتأثرها بالعالم الخارجي، وكيفية صياغة السياسات والنشاطات التي تحقق لها أكبر العوائد وتجنبها المخاطر.

في هذا الفصل سنحاول أن نعيد تشكيل صورة خارطة العالم كما ينظر إليها المهتم بالجيوبوليتيك، وأثر هذه النظرة على صياغة السياسة الخارجية لدول العالم. وفي هذا السياق سنعرف العالم كبقع مصالح وسنبسّط العالم كصور ذهنية قابلة للتذكر والفهم.

قلنا إنّ الإقليم أو الأرض التي تقع عليها الدولة تؤثر بموقعها وما عليها ومن عليها وما يحيط بها على صناعة سياسات الدول وتحركاتها، والتي تسعى من خلالها لدرء الأخطار أولاً، وتأمين الاحتياجات ثانياً. ولنبدأ بتلخيص ما قلناه عن السياسة الدولية في الفصول السابقة:

- فكرة السيطرة على العالم وتجلياتها المعاصرة.
- فكرة النظر للدولة باعتبارها كائناً عضوياً تزداد احتياجاته بقدر نموه.

فكرة أن تحقيق معادلة السيطرة على العالم وتأمين احتياجات النمو للقوى العظمى تطرح فكرتين كبيرتين:

- السيطرة على العالم باحتلال القلب (ماكندر).

» السيطرة على العالم من خلال السيطرة على منطقة الهلال الداخلي أو منطقة الحافة، وبالتالي حصار القلب ومنعه من السيطرة على الجزيرة العالمية.

وهكذا، لم يعد صانع السياسة الدولية ينظر للعالم إلا باعتباره وحدة استراتيجية كبرى مقسمة إلى مناطق كلوحة الشطرنج، وبالتالي يحسب تحركاته عليها. ولهذا سنحتاج لرؤية رقعة الشطرنج ونفهمها كمقدمة لمعرفة طرق التموقع الاستراتيجي فيها.



مفردات اللعب

- الطاقة
- المياه
- الغذاء
- الأسواق
- المواد الخام
- الممرات
- السكان
- المعرفة

المناطق

- مناطق ارتكاز
- مناطق هامة
- مناطق عادية
- مناطق ميتة

اللاعبون

- القوى الأعظم
- قوى عظمى
- قوى إقليمية
- قوى محلية

العالم أصبح رقعة شطرنج كبرى، ومسرحاً لتنقلات وتحركات القوى الواقعة على هذه الرقعة. وهو يعني أن عدد اللاعبين كبير، فهناك كثير من الاحتمالات والسيناريوهات المحتملة لتحركات القوى المختلفة، ولكن القدر المتيقن هو أن تحريك أي قطعة من قطع الشطرنج يؤثر على بقية القطع.

القوى من ناحية أوزانها النسبية تتفاوت تفاوتاً كبيراً، فهناك القوى الأعظم، وهناك قوى عظمى، وهناك قوى إقليمية كبرى، وهناك قوى مؤثرة، وهناك قوى تسعى للدخول في السباق، وهناك مناطق ذات وزن نسبي قليل، وهناك مناطق ارتكاز لسياسات قوى أخرى، وهو ما يعطيها دوراً معيناً.

الممرات التي سيمر منها لمناطق البيع

ولو أخذنا مفردة واحدة مثل النفط لندرسه لوجدنا عالماً قائماً بذاته.



الشكل أعلاه يبين تعقيد موضوع مثل الطاقة، كأحد العوامل المؤثرة على التحركات الاستراتيجية العالمية.

فحين ننظر إلى سلعة واحدة منها، سنجد أن لها أبعاداً تتعدى المسمى الحرفي لها. فمثلاً حين نتحدث عن النفط وننظر إلى السيناريو المتعلق به نجده يشمل:

- مواقع الآبار.
- الدول التي تمر بها الأنابيب.
- الموانئ التي يتم منها التصدير.
- الممرات التي ستعبر منها الناقلات.
- الدول التي تعتمد حياتها الحديثة على توفر هذه المادة.
- الأسواق التي يباع فيها.
- ترابط السلع الأخرى به.

حين نقرر ذلك، يمكننا أن نتخيل معنى حماية النفط. فكل نقطة من النقاط السابقة ستشكل هماً مستقلاً بحد ذاته. فترتيبات الدول التي تصدر النفط ونظمها السياسية ومدى استقرارها وأيديولوجيتها وعلاقتها بالعالم، وترتيبات دول الممرات ستخضع لتحليل دقيق، وترتيبات دول الموانئ، وترتيبات الدول المؤثرة على الممرات واستقرار الأسواق العالمية وتفاعلاتها، وأثر هذه السلعة على بقية السلع في العالم كلها قضايا في منتهى الحساسية لرفاهية العالم واستقراره، وعلى اللاعب السياسي إدراكها وحسن التعاطي معها.

فالنفط ليس بائعاً ومشترياً كما يخطر في البال للوهلة الأولى، بل هو مسار مركب يحتاج في كل جزئية لسياسات محددة من قبل العالم، بل هو الأوكسجين الذي تتنفس به دول العالم، وأي إشكالية يتعرض لها تؤثر على كل شيء في العالم. وعمليات تأمينه تحتاج لتأمين آباره، وطرق استخراجه، وخطوط إمداده، وموانئ تحميله، ووقف أي تهديدات قائمة أو محتملة لأي من هذه المفردات.

ترجمة الأفكار المجردة إلى واقع

هكذا تطور الفكر السياسي المتعلق برؤية العالم. ونحتاج أن نرسم قصة التنفيذ بما يناسب رسم صورة في ذهن القارئ للأحداث الجارية والمستقبلية، والتي هي في الجوهر امتداد لحركة تنفيذ هذه الأفكار.

سنبدأ بالقوى الكبرى في حركتها التاريخية، لنرى كيف ساهمت في تشكيل عالمنا المعاصر، وبأي مؤهلات قامت بذلك؟

إذا كان العالم منذ فجر البشرية، وحتى إمبراطورية المغول العظمى، تشكل بفعل القوى المستوطنة في شرق أوراسيا (أوربا وآسيا)، فالعالم الجديد ومنذ القرن السادس عشر ستلعب فيه دول غرب أوراسيا الدور الأكبر قبل أن تنتقل القوة للابتعاد عن أوراسيا عبر انتقالها للجزر الكبرى بريطانيا وأمريكا. وبما أن المسار طويل ومعقد ويمتد لقرون طويلة بتفصيلاتها التي لا تخدم البحث الذي نحن بصدده، سنقتصر على المحطات الكبرى التي شكلت العالم الذي نعيشه، ولنبدأ بفهم مسرح الحدث أو الجغرافيا التي هي أم السياسة.

الأرض الكبــرى

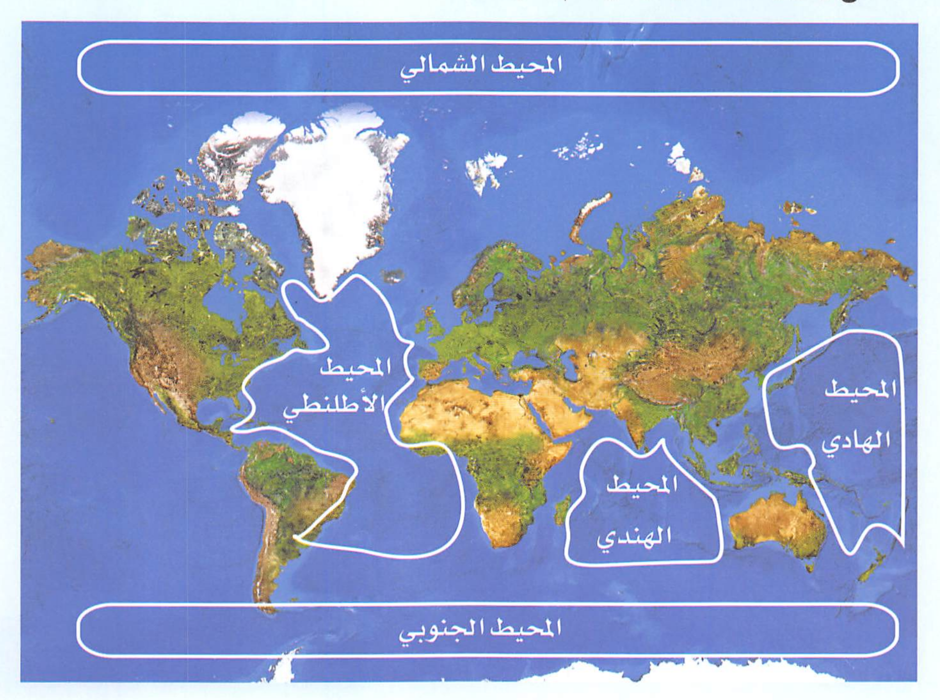
لنتعرف أولا على الجزء المعمور من العالم اليوم (رقعة الشطرنج) وأهم مربعاته تبعاً لنظر الفاحص الجيوبوليتيكي (ضع خريطة العالم أمامك وانظر إليها) وانس للحظة التفصيلات والخطوط المتعرجة التي تشتت الذهن، وستجد نفسك أمام أربع جزر كبرى أساسية (الجزيرة هي قطعة أرض تحيط بها المياه) ها هما على الجانب الشمالي الأمريكتان (الشمالية والجنوبية) وهما على شكل مثلثين قاعدتهما للأعلى ورأسهما للأسفل، يربطهما ذيل يمتد من المثلث العلوي للمثلث السفلي.

وسنجد لو حركنا النظر لليمين قليلاً جزيرة عملاقة مكونة من ثلاثة فصوص (فص أوربي وفص آسيوي وفص أفريقي) وسنطلق على الجزيرة الكبيرة أوراسيا أو (أفروأوراسيا) وهي أكبر جزر العالم، ويمكن أن نسيمها (الجزيرة العالمية بهذا المعنى)

وهناك جزيرة أخرى تبدو وكأنها قطعة سقطت من أوراسيا وخلفت وراءها قطعاً صغيرة شكلت جزراً وذيولاً لهذا الحدث. هذه القطعة هي (أستراليا).

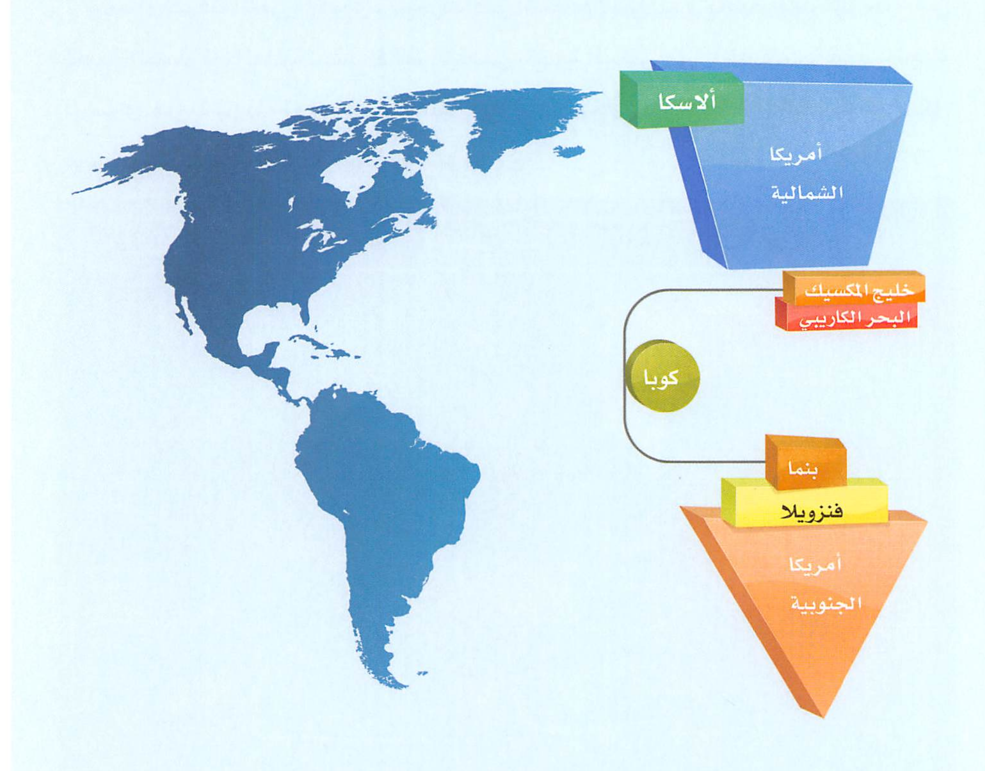


وبعد أن عرفنا الجزر الكبرى، لنتعرف على المسطح المائي الذي يحيط بها، فهو جزء من قطعة الشطرنج العالمية. عند النظر لأقصى الجهة اليمنى من الخارطة، وأقصى الجهة اليسرى من الخارطة ترى مكتوباً عليهما **المحيط الهادئ (الباسيفيك)** لأنك تنظر لشكل مسطح وهو في أصله كرة أرضية تم نشرها.



البحار الكبرى

الآن انتقل للمنطقة بين الأمريكتين وبين الجزيرة العالمية لترى **المحيط الأطلسي** (اتلانتك). يمكنك أن تنظر الآن لأعلى الصورة لترى **المحيط الشمالي** وهي منطقة متجمدة، وأسفل الصورة لترى **المحيط الجنوبي** والقارة المتجمدة الجنوبية (آنتركتيكا)، وامريكا الشمالية بمكوناتها كندا وامريكا وامريكا الوسطى، هي أشبة بكنغر يستعد للقفز على أوروبا وآسيا ويقف برجليه على صخرة كبيرة هي أمريكا الجنوبية.

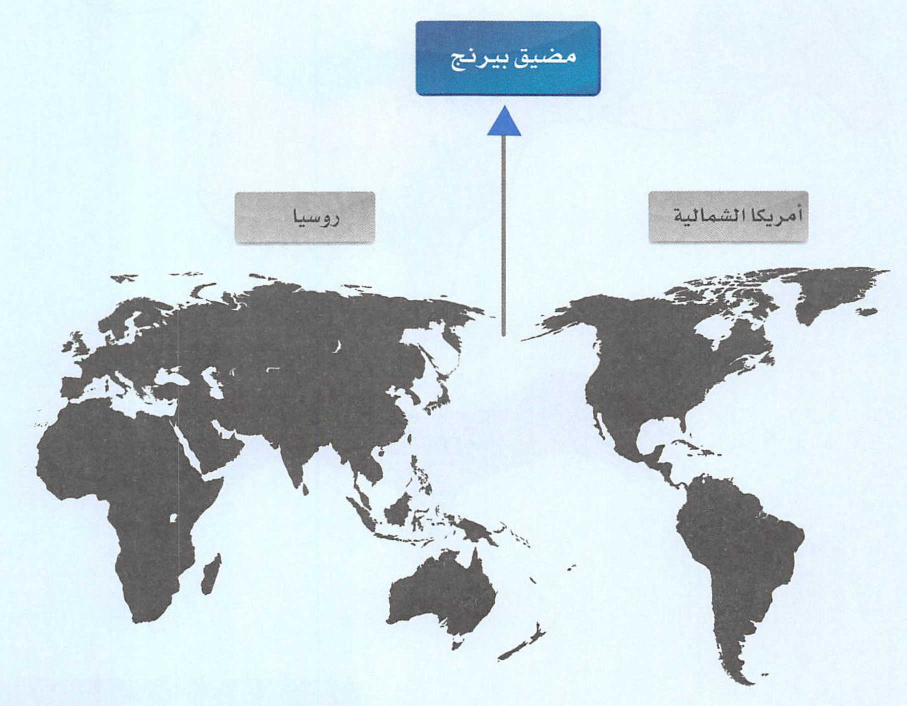


نظرة أولى للأمريكيتين

لننظر إلى الأمريكيتين الشمالية والجنوبية، ونركز النظر فقط على الذيل الذي يربط بين الأمريكتين، وهو أشبه بحرف C باللغة الإنجليزية وسنجد موقعين في غاية الأهمية: جزيرة صغيرة تسمى (كوبا) وتقع في بطن حرف C، وذيل حرف C مكتوب عليه بنما (حتى نتذكر قناة بنما) وبطن الحرف أعلاه يشغله خليج المكسيك، وأسفله يشغله ما يطلق عليه البحر الكاريبي.

انظر الآن للمنطقة التي تقع تحت كوبا وستجد فنزويلا، وهي تقع في قاعدة المثلث السفلي (أمريكا الجنوبية) وفي شكل مقابل للطرف الأمريكي في أعلى حرف ال C.

صَعِّد النظر لأعلى المثلث العلوي (أمريكا الشمالية) وانظر للزاوية اليسرى من هذا الجزء وسترى ألاسكا، ولا يفصل بينها وبين روسيا سوى مضيق بيرنج!



شكل مسطح لخريطة العالم



نظرة أولى لأوراسيا

الشكل يُبين النسر الروسي وجناحه الأيمن الممتد في أوروبا.

خذ مسافة من الخارطة الأوراسية (أوروبا وآسيا). تأمل جيدا النسر الكبير ورأسه وجناحيه الروسيين وامتداداته الأوروبية.

رأسه الذي يلتفت للجهة الشرقية (شبه جزيرة تيمير) وجناحاه، يمتد أحدهما ليلامس ممر بيرينج في الجهة الشرقية، ويصل للبرتغال في الجهة الغربية عابراً آسيا إلى أوروبا. وتشكل سهول سيبيريا الشمالية والوسطى أعلى صدر الطائر، ويلتفت صدره العملاق المكون من الصين لجهة المحيط الهادئ ليواجه خطاً من الجزر تمثله اليابان وجزر أخرى.

وسنجد الطائر يقف على رجلين هما الهند من ناحية، وجنوب شرق آسيا والتي تعرف بالهند الصينية (كمبوديا ولاوس وميانمار وتايلاند وفيتنام وماليزيا، وتتبعها بقية الجزر الصغرى مثل سنغافورة، والكبرى مثل إندونيسيا... ألخ). والمهم هنا أن تعرف الهند، والهند الصينية كرجلين يقف عليهما الطائر. ولننظر بعدها لذيل الطائر وهو يمتد من باكستان وأفغانستان، ويمتد عبر إيران لينتهي بتركيا.

الفص الأوروبي

الشكل يبين الديناصور الأوروبي، حاملاً لأرنب، وهو يقف على قدميه الخلفيتين، مطلاً على المحيط الأطلنطي وأمريكا.



لِنَنسَ إفريقيا للحظة، ونركز النظر على الفص الأوربي من أوراسيا والذي يقابل أمريكا الشمالية وهو موطن الغرب القديم، سنجد أنفسنا أمام ديناصور يجلس على ظهره أرنب ويهاجمه من ذيله ثعبان فاغراً فاه.

رأس الديناصور مكون من عين واسعة تطل على المحيط الأطلسي (البرتغال) وبقية الرأس هي (أسبانيا) وقد مال برأسه على المغرب يهم بقضم جزء منه. ولننظر لمنطقة الرقبة والأكتاف سنجد فرنسا، ومثلث الظهر هو (بلجيكا وهولندا) أما مؤخرة الديناصور فهي ألمانيا، أما ذيله فعليه الدنمارك، أما الثعبان ففكه العلوي هو النرويج وفكه السفلي هو السويد. ثم انظر لساقه الأمامية وستقع عينك على إيطاليا وهي تستقبل بمقدمة حافرها جزيرة صقلية، وأما رجل الديناصور الخلفية فتبدو أطول كما هو متوقع في الديناصورات، وهي موقع اليونان، ومنها تبدأ دول البلقان. وأحسب أنك قد سمعت عنها كثيراً (منها ألبانيا – مقدونيا – بلغاريا) والدول الثلاث تصطف أفقيا على الحرف الأعلى لليونان من شاطئ البحر الأدرياتيكي إلى شاطئ البحر الأسود. ثم تتربع فوقها جمهورية الجبل الأسود، وعلى حرفها الأعلى تتربع كرواتيا المطلة على البحر الآدرياتيكي، والبوسنة والهرسك للداخل من غير منفذ مائي. وعلى كرواتيا فوق حرفها الأعلى تقع سلوفينيا.هذه المنظومة وأحيانا تضاف لها رومانيا ومالدافيا.

لا يهم في هذه المرحلة من النظر معرفة التفصيلات، فالمهم أن تعرف أن دول البلقان هي رجل الديناصور الأوروبي الخلفية، وهي منطقة توتر عرقي مقلق لأوروبا.

ركز عينيك الآن على مؤخرة الديناصور وهي ألمانيا، وانظر لأربع كتل متجاورة:

بولندا المطلة على بحر البلطيق من الشمال، وركز عينيك على بولندا واتجه لروسيا البيضاء، ستجد نفسك تقترب من موسكو (مسار الجيش النازي للسيطرة على روسيا والعالم من بعدها) وتحت روسيا البيضاء ستجد بقعة في غاية الأهمية لروسيا وهي أوكرانيا. ها نحن قد تحدثنا دون أن نشعر عن كتلة في غاية الأهمية، هي أوروبا الشرقية وكانت نصف ألمانيا بعاصمتها برلين تابعة للكتلة الشرقية، وهي ما عرفت بألمانيا الشرقية والتي أصبحت بعد الوحدة الألمانية في ذمة التاريخ، مضافاً لها بعض الدول الأخرى في حلف وارسو.



أوروبا الشرقية (الكتلة الشرقية)

...... (مسار الجيش النازي)

تحت هذه الكتلة الشرقية بحر صغير على شكل مثلث، ولعلك عرفته البحر الأسود (وسمي البحر الأسود لأنه تعلوه دائماً سحب من الغيوم سوداء وكان الناس يخافون من ركوبه)، وهو بحر في غاية الأهمية الاستراتيجية كمنفذ لواحدة من القوى الكبرى في العالم، وهي روسيا وهو المخرج الوحيد لها للوصول للبحر الأبيض المتوسط عبر مينائها العتيد (نوفوريسيك) وتجاورها وتشترك معها فيه خمس دول أخرى. فلو بدأت مع عقارب الساعة عند السادسة، ستجد تركيا وهي تتحكم في مضيق البوسفور الذي يمرر السفن من البحر الأسود إلى بحر مرمره (سمي بذلك لأن حوله مناطق لإنتاج رخام المرمر)، ومن مرمرة تعبر السفن عبر مضيق الدردنيل إلى بحر إيجة إلى البحر الأبيض المتوسط (والذي سمي «أبيض» لكثرة الزبد على سطحه، ومتوسطاً لتوسطه ربما بين العديد من الدول المطلة عليه)، وتليها مع حركة عقارب الساعة بلغاريا ورومانيا وأوكرانيا، ثم روسيا ثم جورجيا. ولسهولة فهم منطقة البحر الأسود تذكر فكرة المثلث على رأس تركيا، وتحيط به دول يمكن معرفتها مع دوران عقارب الساعة.

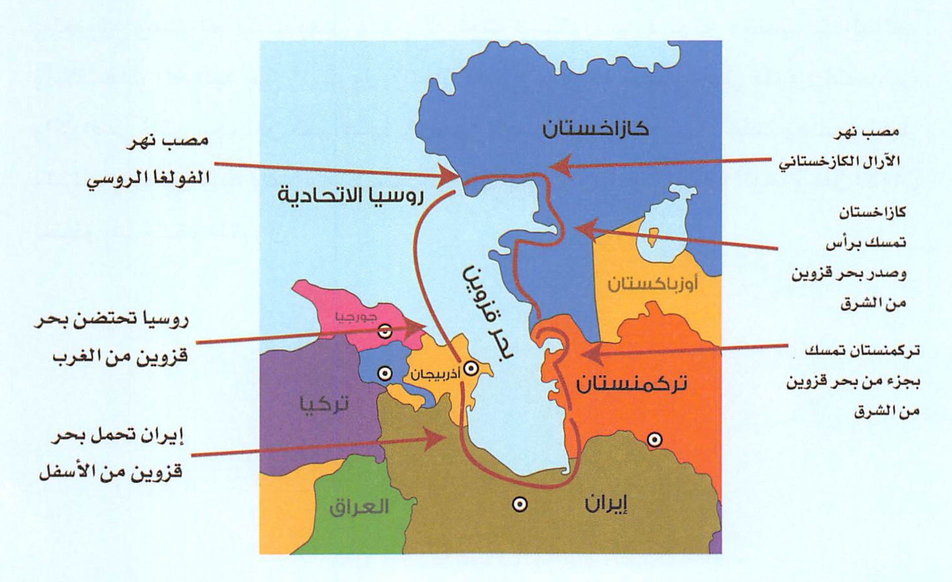


الدول المحيطة بالبحر الأسود

بحر قزوين (علامة الاستفهام)

الشكل يبين بحر قزوين كعلامة استفهام كبرى في وسط العالم

يمكنك أن تنظر الآن على يمين البحر الأسود سترى بقعة من الماء ترسم علامة استفهام، هذا هو بحر قزوين،ويشبه في شكله علامة استفهام كبرى.



الذي يجعل منطقة بحر قزوين مهمة وجود كمية كبيرة من النفط يقدرها البعض بأكبر من الكميات الموجودة في السعودية والكويت والعراق.



وهو بحر صغير تصب فيه المياه القادمة من نهر الفولجا الروسي، ونهر الآرال المار بأراضي كازاخستان. ويمكنك أن ترى إيران تحمل هذا البحر، وروسيا تحتضنه من الميسرة، وكازاخستان تأبى إلا أن تمسك برأسه وصدره من الجهة اليمنى، وتترك بقيته لتركمانستان.

ولكن ما الذي يجعله مهماً إلى هذه الدرجة؟ إنه النفط الذي يُحتمل أنه يرقد تحته، والبعض وعبر بعض التقديرات يرى أنه يتفوق على منطقة السعودية والكويت والعراق، وهذا لم يثبت بعد، ولكن لو ثبت فسيكون بؤرة توتر عظمى في العالم. والمكتشفات الحالية من البترول والغاز تطرح بدورها أسئلة حول طرق التصدير، والأراضي التي يجب أن تمر منها في ضوء الصراعات بين دول المنطقة وطموحاتها. ولذلك سنطلق عليه (علامة الاستفهام) لأن أنظار كل القوى تتجه إليه. وحان الأوان للنظر إلى البقع الكبرى...

روسيا

أمعن النظر الآن إلى هذه السحابة التي تشبه رأس النسر وجناحيه وبعض صدره، والتي تظلل آسيا وتمتد من أواسط أوروبا حتى أقصى نقطة في الشرق على المحيط الهادئ، هنا تقع روسيا.



وروسيا في شمالها بحار متجمدة غير صالحة للملاحة، وليس لها منفذ للمياه الدافئة إلا عبر البحر الأسود مروراً بمضيق البوسفور ثم الدردنيل، ثم بحر إيجة ثم البحر الأبيض المتوسط. (وضع مؤلم لقوى عظمى).

حين تخرج الأساطيل للبحر الأبيض المتوسط، فالموانىء التي كانت صديقة لروسيا هي ليبيا وسوريا وحين أنتزعت منها ليبيا لم تتبقى إلا سوريا.

على حافتها الغربية تتصل بأوروبا، وسترى دولاً كانت تشكل جزءاً من الاتحاد السوفييتي سابقا. سترى أوكرانيا وفوقها روسيا البيضاء، وفوقها لاتفيا وليتوانيا، وفي ظهر هذه المجموعة ستجد بولندا وألمانيا بالترتيب. وستسمع عن هذه الكتلة كثيراً في الحديث عن الدرع الصاروخي، وعن توسعة حلف الناتو والاتحاد الأوروبي.

الآن ركز النظر في الحدود الشرقية، سترى روسيا وهي تمد خرطوماً كبيراً تتساقط منه جزر صغيرة على الجزيرة اليابانية، وسترى خرطوماً آخر يغرز إبرة في أعلى كوريا الشمالية.

أما الحدود الجنوبية لروسيا فهي من اليمين تتشكل من تماس صغير كالدبوس مع كوريا الشمالية، ثم حدود مستعرضة مع الصين تنتهي بحدود كازاخستان، ثم جزء من بحر قزوين، ثم تنتهي لشوط قصير على ظهرجورجيا.

وهنا توقف قليلاً أمام زحمة الدول تحت كازاخستان. فالمسافة بين حدود روسيا في اتجاه الخليج العربي حيث منابع النفط تمر عبر كازاخستان، أوزبكستان، تركمنستان، إيران، وكل تقدم لروسيا وبأي شكل هنا يعنى الاقتراب من مناطق النفط.

إذا أرادت روسيا الوصول للمحيط الهندي حيث المياه الدافئة فعليها العبور عبر كازاخستان أو أوزبكستان أو طاجيكستان أو تركمنستان ثم أفغانستان، وبعض هذه المنطقة المستقلة عن الاتحاد السوفييتي كجمهوريات حديثة التكوين، هي منطقة عدم استقرار فهي تحيط ببحر قزوين مخزن البترول القادم، وتنتشر داخلها الصراعات العرقية والتدخلات من القوى الكبرى المحيطة: روسيا وإيران وتركيا، وتتطلع لها الصين والهند، وتتطلع لها أوروبا من خارج القارة، ومن خارج الجزيرة العظمى تتطلع لها الولايات المتحدة الأمريكية.

الصين

بعد أن تأخذ مسافة من الخارطة الأوراسية (أوروبا وآسيا) تأمل جيداً طائر الكندور كبير الرأس الذي يلتفت للجهة الشرقية (شبه جزيرة تيمير الروسية) وجناحيه اللذين يمتد أحدهما ليلامس ممر بيرينج في الجهة الشرقية، ويصل للبرتغال لو مددت البصر للجناح، ولكنه عملياً يتوقف عند أوروبا الشرقية في الجهة الغربية عابراً آسيا إلى أوروبا. لنركز الآن على صدر النسر وهو الصين.

لو نظرت لرأس التنين في منشوريا، وهو فاغر فاه، متجهاً إلى روسيا وقد احتضن هضبة منغوليا كأنه يتقي بها الروس، وقد أسند رقبته وظهره للمحيط الهادي، بينما مؤخرته الصلبة جبال الهملايا تصله مع الهند الصينية (فيتنام ولاوس وبورما وبوتان

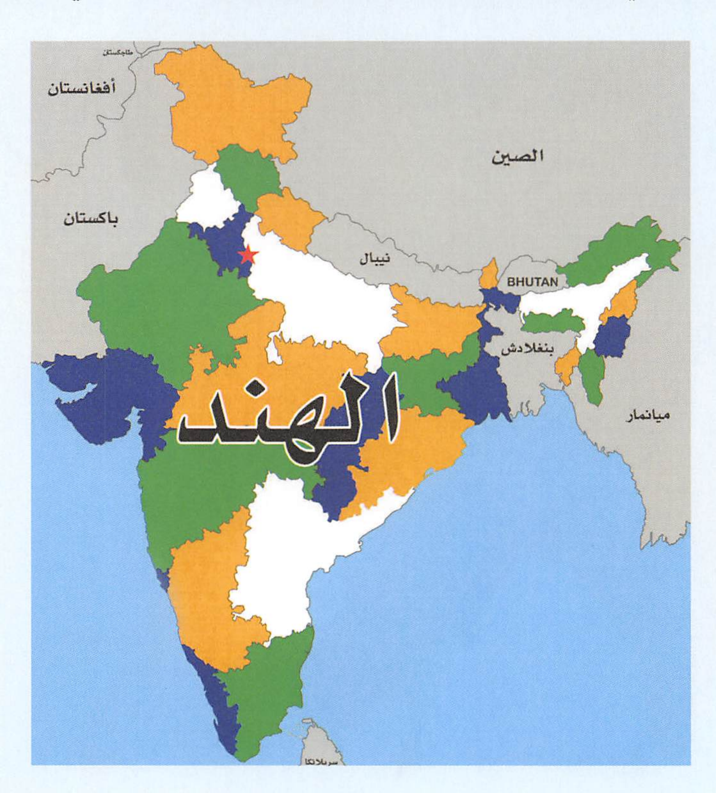


والنيبال) والهند وباكستان وأفغانستان وطاجيكستان وقرغيزستان وكازاخستان، وهو جوار متوتر باستمرار بسبب النزاعات العرقية والدينية والاقتصادية.

والصين بذلك تواجه بسواحلها على المحيط الهادي حزاماً أوجدته الجغرافيا، وحددته وظيفياً أمريكا، وهو اليابان والفلبين وكوريا الجنوبية وأستراليا عن بعد.

الهنـــــد

تبدو الهند كنتوء كبير يظهر من القارة، مثلث قاعدته للأعلى وتتصل بمؤخرة التنين الصيني، وقمته تنغمس في المحيط الهندي. على حافته العليا تقع النيبال وتأخذ جزءاً من حده الأيمن أو الحرف الشرقي الأعلى بنجلاديش، ومقابلها في الجانب الأيسر أو الغربي باكستان، أما قمة المثلث فتقابلها جزيرة مشاغبة هي سريلانكا.



بقيـة أوراسيـا

منطقة الشرق الأوسط في الاصطلاح. ويقصد بها المنطقة التي تشمل آسيا الغربية وشمال إفريقيا، وخاصة في الاستخدام الأمريكي، وقد تمدد استخدامه ليشمل أفغانستان وباكستان والقوقاز ووسط آسيا، وهو يستخدم بالتناوب مع مصطلح الشرق الأدنى لأوروبا.



منطقة الشرق الأوسط

المنطقة الساخنة

منطقة الصراع العربي الإسرائيلي

وباكستان والقوقاز ووسط آسيا، وهو يستخدم بالتناوب مع مصطلح الشرق الأدنى لأوروبا.

وقد مر المصطلح برحلة طويلة من الاستخدامات، فأحياناً يعني فقط الصراع العربي الإسرائيلي، وأحياناً الدول العربية حتى ليبيا، وأحياناً أخرى يقصد به الدول الممتدة من أقصى العالم العربي وصولاً إلى بورما.

وأول من نحته هم الإنجليز سنة ١٨٥٠ في مكتب الهند، ثم استخدمه ألفرد ماهان سنة ١٩٠٢ ليصف المنطقة بين الجزيرة العربية والهند. ومن دراسة صراع بريطانيا والروس كإمبراطوريات للنفوذ في وسط آسيا، حدد ماهان منطقة القلب في الصراع بأنها الخليج العربي. وسمى المنطقة المحيطة به الشرق الأوسط. وقال إنه بعد قناة السويس فهذه المنطقة هي الأهم لبريطانيا لمنع تقدم الروس إلى الهند.

بمعنى آخر الشرق الأوسط مصطلح فضفاض تدخل فيه مناطق وتخرج بحسب القوة التي تستخدمه. وهو حين يتسع يصل من الشمال الإفريقي لحدود الهند، وحين يضيق يتحدث عن الصراع العربي الإسرائيلي ودول المنطقة المعنية به. وهذه المنطقة اليوم عند البعض تحتوي على قلب العالم المتعلق بالطاقة، وبالتالي تضاعفت قيمتها الاستراتيجية في عيون العالم.

نظرة للجزيرة العربية والخليج

وهي منطقة قليلة الكثافة السكانية بشكل مذهل بالقياس لمساحة الأرض، ومنطقة ترقد على مخزون نفطي هائل، ومخزون من الغاز لا يقل أهمية، وبالتالي تتوفر فيه خاصيتان. الأولى: قلة الكثافة السكانية، بمعنى قلة القدرة على الدفاع الذاتي.

والثانية: خاصية جذب القوى العالمية لرائحة النفط والغاز، المسيلة للعاب كل القوى المحيطة والعالمية.

تشكل الهشاشة السكانية في الخليج والجزيرة وفسيفساء الدول الموجودة على خارطتها ككيانات صغيرة، فرصة للوجود الغربي في المنطقة لحماية ما يعده الغرب مصدره الأكبر للطاقة.



وبالتالي فتوفير الحماية عبر التحالف والقواعد والتسهيلات للغرب، هو طريق هذه الدول لحماية ذاتها من الكيانات الإقليمية العملاقة المحيطة بها.

باستمرار هناك تخوف محلي وعالمي من احتمال طمع إحدى الدول الإقليمية كإيران في الحاضر، والعراق قبل تفكيكه للسيطرة على منابع النفط وتنفيذ ذلك. وربما كان هذا هو أحد أسباب تفكيك العراق وتدميره، وحصار إيران في الحاضر.

المحيط العربي وعلاقته بالجزيرة والخليج

ورغم أن دول الخليج والجزيرة مرتبطة حضارياً ودينياً بالمحيط العربي والإسلامي الكبير، والممتد لبقية مناطق الجزيرة العربية، كاليمن والعراق والشام ومصر والشمال الإفريقي، وهي كتلة بشرية كبيرة، مازال هذا العمق الإستراتيجي البشري والاقتصادي، في دائرة القوة المحتملة، لا القوة المتحققة. وبين عالم الإمكان بالقوة والإمكان المتحقق يوجد عالم الإرادة، وهو عالم لا يزال معطلاً في كثير من أجزاء هذا الوطن الممتد.

المحيط الإسلامي الإقليمي والجزيرة والخليج

وفي هذا النطاق سنجد دولتين طموحتين، هما إيران وتركيا، ونجد تحدياً كبيراً أمام المنطقة وهو الاحتلال الصهيوني لفلسطين. والمنطقة كلها أمام تحد رئيسي وقائم، وهو المشروع الصهيوني المدعوم غربياً، وهو مشروع معقد بنيوياً يجمع بين العنصرية الصهيونية، وبين المنظور الديني اليهودي، وبين الالتحام بالغرب ثقافياً ومعرفياً، وبين الامتداد العلمي التقني الغربي، وبين الدور الوظيفي لصالح المشروع الغربي، وبين وضع نفسه في سياق أزمة الضمير التاريخي الغربية، وبين خطورته في ذات الوقت وخاصة اليوم على المصالح الغربية، وبالأخص شكله الحالي الرافض لأي تسوية معقولة للنزاع، والتكاليف الباهظة التي يحتاجها للاستمرار في وجه الأزمات التي يمر بها الغرب وقابليته لتحمل عبء إضافي.

وفي هذا السياق تظهر المصالح الفردية للقوى الإقليمية الكبيرة كتركيا وإيران، وطموحاتها لتوسعة النفوذ، وقدرات التدخل في المحيط، وما تسببه الحساسيات الدينية والمذهبية والقومية من توترات مضافة على الجزيرة، وصناع القرار فيها.

إفريقيـــــا

القارة البكر، وهي عبارة عن مثلث كبير قاعدته للأعلى (مثله مثل مثلث الأمريكتين والهند) أو كأنه مثلث مقلوب، أعلى نتوء في قاعدته تشكله تونس، وقمته على رأس الرجاء الصالح، وتمثله جنوب أفريقيا وعلى طرفه الغربي سترمق المغرب واشنطن الأمريكية على جانبي الأطلسي، وهي أول الدول التي اعترفت بأمريكا حين ميلادها.



وستقابل موريتانيا خليج المكسيك والبحر الكاريبي وكأنها قد انفصلت عنه البارحة. وتقابل فيه البرازيل خليج غينيا وكأنها انفصلت عنه البارحة أيضاً. بقايا قصة انفصال القارات ما زالت شواهدها باقية، وعلى الطرف الشرقي للمثلث نتوء هام يطل على باب المندب وهو الصومال، وباب المندب هو مضيق بين جيبوتي واليمن، والبوابة للعبور إلى المحيط الهندي من البحر الأحمر.

التدافع العالمي

ها نحن قد عرضنا صورة للعالم وهو في حالة سكون (جغرافيا)، ولننتقل للحديث عن العالم من زاوية (الجيوبوليتيك) أو الجغرافيا في حالة الحركة، وحتى تصبح الجغرافيا حية فهي تحتاج لحركة الإنسان، أو لنقل لحركة الوحدات السياسية، عالم اليوم هو عالم غريب! فمن جهة تبدو فكرة الدولة القومية كاملة السيادة، وفكرة العضوية في الأمم المتحدة والشكل الديموقراطي لاتخاذ القرارات العالمية، وتطور البشرية في مناداتها بالسلام العالمي ونبذ العنف واحترام حقوق الإنسان، ومن جهة أخرى تنتشر الصراعات في العالم، والعالم يزداد تسلحاً والتدخل في الدول يزداد شراسة، وحقوق الإنسان تبدو في أسوأ أحوالها، فماذا يفسر ذلك كله؟

واللاعبون على المسرح الدولي متنوعون، فمنهم الدول، ومنهم المنظمات الدولية، ومنهم الشركات العابرة للقارات.

ونحن سنركز في حديثنا على الوحدات السياسية، وهي الدول متنوعة الحاجات.

فهناك من هو بحاجة للموانئ، وهناك من هو بحاجة للقمح، وهناك من هو بحاجة للطاقة، وهناك من هو بحاجة للمعرفة، وهناك من هو بحاجة للبشر، وهناك من هو بحاجة للممرات الآمنة لبضائعه.

الدول مختلفة التوجهات

فهناك دول لا طموح لقياداتها ونخبها، وهناك دول عندها أيديولوجيا أو دين أو شعور قومي، أو شعور بالخطر على مستقبلها، لديها دافع قوي يجعلها لا ترضى بما عندها، بل تتطلع لما في أيدي الآخرين.

الدول تتصارع على ما تعتقد أنه موارد نادرة، فهي حين تعتقد أن البترول سلعة ناضبة تتصارع عليها، وحين تعتقد أن المياه سلعة ناضبة تتصارع عليها.

وتحت ذريعة الأمن القومي، ترتكب كل الموبقات، وتستخدم كل وسائل السياسة الظاهرة والخفية، فالوسائل الظاهرة الناعمة، الإعلام والدعاية السياسية، والدبلوماسية والتحالفات قد تتصاعد للإغراءات المالية أو للعقوبات المالية والحصار الاقتصادي، وقد تتصاعد للحصار العسكري والتهديد والتنفيذ الجزئي أو الكامل للحرب، أما الوسائل الخفية فهي حروب الاستخبارات والتجسس والاغتيالات والانقلابات والثورات والتلاعب بالمعلومات، وكل ذلك في عرف السياسة الدولية مبرر بالمصلحة القومية العليا.

وسائل وأدوات الصراع السياسي

وسائل وأدوات ظاهرة

- الحملات الإعلامية الضاغطة الموجهة، والدعايات السياسية.
- الضغوط السياسية المباشرة والغير مباشرة، عبر الدول الصديقة والموالية.
- التحالفات السياسية.
- الإغراءات والعقوبات الاقتصادية.

التهديد واستخدام القوة العسكرية.

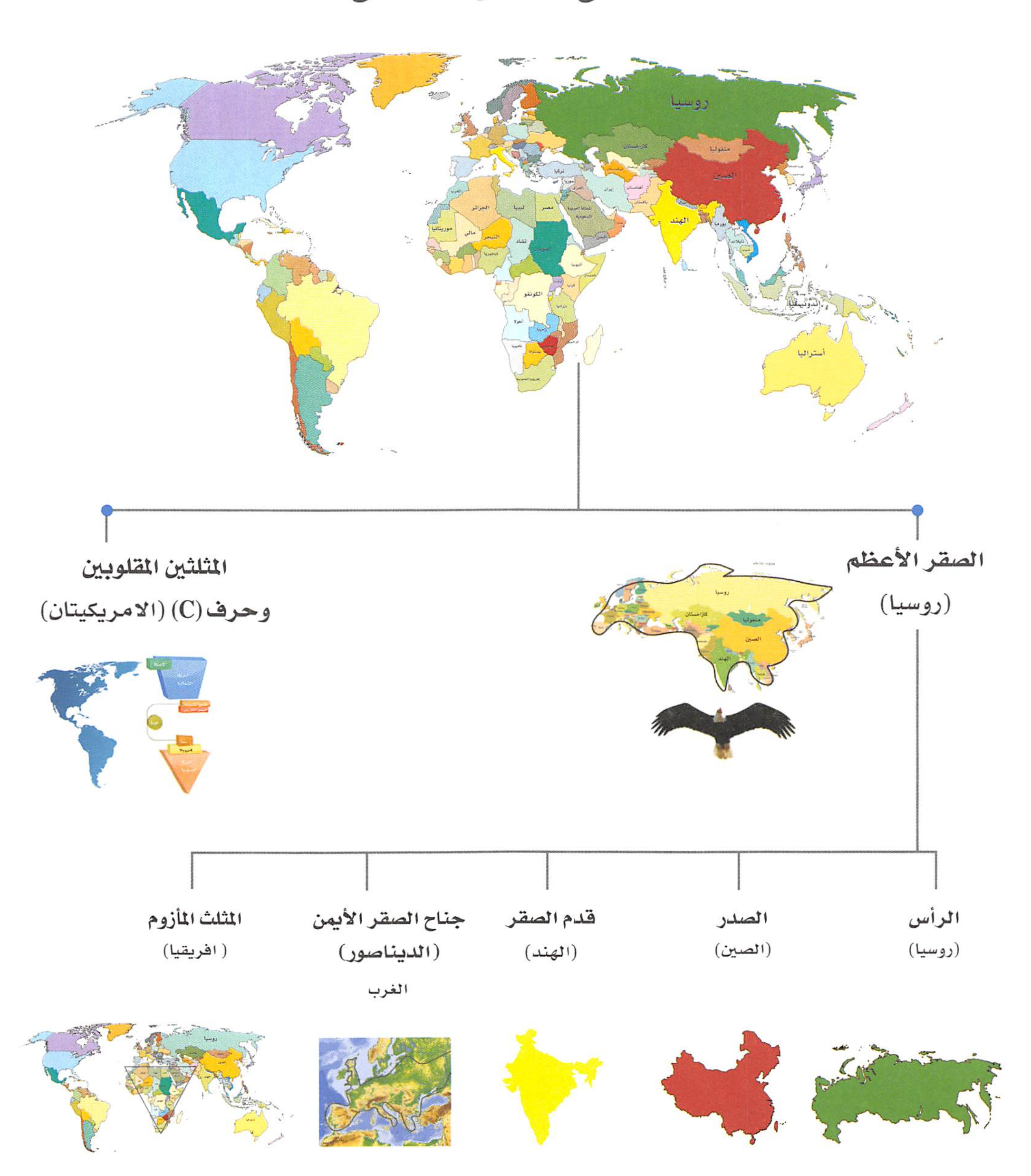
وسائل وأدوات خفية

- حرب الاستخبارات.
- العمليات القذرة - إثارة الفتن والقلاقل الداخلية - العرقية.
- الاغتيالات السياسية.

الثورات.

- حرب المعلومات.

ملخص الفصل السادس





الفصل السابع

مستويات وطبقات دول العالم

- الدول المبادرة
- دول القابلية
- دول الطموح الإقليمي
- دول المسرح
- دول الخمول
- دول الحضور

دول العالم يمكن أن توضع على ستة مستويات:

المستوى الأول: دول المبادرة أو اللاعب النشط، وهو يتمتع بثلاث مواصفات.

» أولا: يمتلك إرادة وطنية (لا يخضع لشروط الخارج).

» ثانيا: يمتلك القدرة والإمكانية لصالحه (قادر على توفير التكاليف الضرورية للفعل).

» ثالثا: أن يكون مستعداً للخروج من موطنه بغرض تغير الوضع الجيوبوليتيكي، وهي دول قليلة، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، وربما فرنسا.

المستوى الثاني: دول القابلية وهي دول تمتلك القدرات والإرادة، ولكنها ما زالت تلعب في حيز ضيق، لم تظهر بعد قدراتها على المسرح الدولي بعيداً عن حدودها، ومنها الصين والهند.

المستوى الثالث: دول الطموح الإقليمي وهي دول لا تؤهلها قدراتها الكلية مثل الموقع والحجم والموارد والمعرفة على اللعب على مستوى عالمي، ولكنها تمتلك الطموح والقدرات الإقليمية، كتركيا وإيران على سبيل المثال.

المستوى الرابع: دول المسرح وعليها تلعب الدول من المستوى الأول (دول المبادرة)، وهي دول لا تمتلك قيادتها الرؤية ولا الدافع ولا القوة، ولكنها تقع في موقع حساس مؤثر على بعض اللاعبين الإستراتيجيين، أو تمتلك بشكل ما موارد يحتاجها طرف استراتيجي ما. كأفغانستان وباكستان وغيرها كثير.

المستوى الخامس: دول الخمول وهي دول تمتلك الإمكانات، ولكن لسبب أو لآخر تفتقد الدافع، وتبقى في الظل أو كدولة تابعة لمركز مسيطر كبريطانيا واليابان في الحماية الأمريكية.

المستوى السادس: وهو مستوى جديد وهو دول الحضور وهي ظاهرة جديدة ربما تتعاظم في المستقبل، وهي دول ليست لها معطيات التاريخ والجغرافيا، ولكن تمتلك قيادات طموحة وبعض الإمكانات، وتمارس دوراً إقليمياً مؤثراً بشكل ما كنموذج قطر مثلا.

وحين ننظر إستراتيجياً للاعبين نلتفت لأمور منها:

ما هي رؤية قيادتها وطموحاتهم؟

ما أثر تحركها على القوى الأخرى؟

ماهي قدراتها وإمكاناتها؟

ما هو محيطها وما علاقتها به؟

وما هي احتياجاتها؟ وما هي مخاوفها؟

الأسئلة الاستراتيجية للفاعل السياسي كدولة

ما هي رؤية قادتها وطموحاتهم؟

إمكانات الدول البشرية والمعرفية، ورقعة الأرض، والقوة العسكرية، والقوة الاقتصادية، والقوة الإعلامية، ودرجة الجاذبية الحضارية كلها لا تعني شيئاً، بدون الإرادة البشرية التي تعاظمها وتحركها. وبالتالي تلعب دراسة القيادات وتوجهاتها وطموحاتها وتاريخها، دوراً كبيراً في التعرف على المشهد السياسي الاستراتيجي. وقديماً قال نابليون "إن جيشاً من الأسود يقوده أرنب سيفر، وجيش من الأرانب يقوده أسد سينتصر".

ما هي قدراتها وإمكاناتها؟

تتفاوت الدول تفاوتاً كبيراً في إمكانياتها الاقتصادية والعسكرية والعلمية، وموقعها ودرجة مناعتها الداخلية، وخبرتها التاريخية، وكثافتها السكانية ورقعة الأرض التي تحتلها. وكلها معطيات ينظر فيها عند تقدير ممكناتها.

ما هي احتياجاتها؟ وما هي مخاوفها؟

تتفاوت الدول في سبب تحركها خارج رقعتها الجغرافية، فمن الحاجات الاقتصادية والعسكرية، والطموحات القومية والدينية. وتلعب مخاوف الدول وتحوطاتها دوراً مهماً في حركتها للخارج، فتأمين المصالح يلعب دوراً كبيراً في الأسباب الدافعة لتحرك الدول ومبادراتها.

ما هو محيطها وما علاقتها به؟

تلعب التوازنات الدولية دوراً مهماً في قابلية الحركة للاعب الدولي، فتحركات أي لاعب عادة ما توازنها حركة أو احتمال حركة لاعب آخر.

ما أثر تحركها على القوى الأخرى؟

رقعة الشطرنج العالمية أشبه بأحجار الدومينو، حيث أن تحريك أي حجر قد يعني تساقط أحجار أخرى. وبالتالي من المهم معرفة وحساب الآثار المترتبة على تحركات اللاعبين.

واللاعب الاستراتيجي باستمرار يسعى لصياغة سياسة تؤدي إلى واحدة من ثلاثة أشياء مع الطرف الآخر:

- معادلته استراتيجياً. وهو ما وسم تحركات روسيا وأمريكا مثلاً أثناء الحرب الباردة. فكل حركة جغرافيه أو قفزة علمية كانت تتم موازنتها. فصعود الروس على القمر مثلاً، كان يستدعي صعود الأمريكان على القمر، واحتلال أفغانستان يستدعي دعم المقاومة الأفغانية.
- مشاركته إستراتيجياً. وهو ما وسم تعاطي أمريكا مع فرنسا مثلاً. فبدلاً من الصدام معها في أفريقيا، يتم الاشتراك معها في الشأن الإفريقي، وتوزيع الأدوار والمغانم.

» السيطرة عليه استراتيجياً. وهو ما تم مع اليابان وألمانيا مثلاً. بعد الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم.

» تقليل الخسائر واحتواء الأضرار، وهو ما يتم مع الحالة الثورية في المنطقة العربية.

تحركات اللعب الاستراتيجي تؤدي إلى واحدة من ثلاث أشياء مع الطرف الآخر

١- معادلته استراتيجيًا

وهو ما وسم تحركات روسيا وأمريكا أثناء الحرب الباردة. (صعود الروس على القمر يستدعي صعود أمريكا)

٢- مشاركته استراتيجيًا

وهو ما وسم تعاطي أمريكا مع فرنسا مثلاً (الاشتراك بدلاً من الصدام في أفريقيا)

٣- السيطرة عليه استراتيجيًا

وهو ما تم في اليابان وألمانيا مثلاً بعد الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم

ملخص الفصل السابع

الدول المبادرة

دول القابلية

دول الطموح الإقليمي

دول المسرح

دول الخمول

دول الحضور

مستويات وطبقات دول العالم

ما هي رؤية قادتها وطموحاتهم؟

ما أثر تحركها على القوى الأخرى؟

ماهي قدراتها وإمكاناتها؟

ما هو محيطها وما علاقتها به؟

وما هي احتياجاتها؟ وما هي مخاوفها؟

الأسئلة الاستراتيجية للفاعل السياسي كدولة

الفصل الثامن

بعض تطبيقات الجيوبوليتيك أمريكا نموذجاً

الدولة كائن عضوي
(ألمانيا نموذجاً)

سعي هتلر للسيطرة
على قلب العالم

بعض تطبيقات
الجيوبوليتيك

أمريكا تنظر لنفسها
كقوة بر في مقابل
قوى البحر

ترتيبات أمريكا العسكرية
وغير العسكرية للسيطرة
على العالم

ألمانيا النازية والمنظور الجيوبوليتيكي

تطبيق فكرة الدولة كائن بيولوجي:

مفهوم المجال الحيوي بالتطبيق الجيبوليتيكي الألماني، فألمانيا بحدودها الجغرافية التقليدية تشكل جسم الكائن الألماني (الدولة في نظرية الدولة كائن حي) وجلدها هو الحدود، وهي كلما كبرت في احتياجاتها كلما احتاجت أن يتسع جلدها (حدودها).

نظرة واحدة لما فعلته ألمانيا الهتلرية بجيرانها ترسم المشهد، فهي قد بدأت بالتهام النمسا في نيسان ١٩٣٨، ثم تشيكوسلوفاكيا في آذار نفس العام، ثم بولونيا في يوليو نفس العام، ثم لتوانيا، ثم الدنمارك ١٩٤٠ وتبعتها بالنرويج، ثم هولندا ثم بلجيكا

ثم فرنسا ثم حاولت فتح بريطانيا فلم تنجح ثم اتجهت للبلقان فاستولت على يوغوسلافيا واليونان وكريت ثم اتجهت للبحر الابيض المتوسط.

تطبيق فكرة قلب العالم:

سعى هتلر لغزو روسيا وطوق لينغراد وأخذ اوكرانيا ووصل لضواحي موسكو ولم يتوقف الهجوم وينكسر الجيش الألماني إلا عند ستالينغراد التي قررت مصير المشروع الألماني.

لم تنجح أحلام المانيا ولكنها تركت لنا صورة تطبيقية لمفاهيم خطيرة في الجيوبوليتيك العالمي.

أمريكا وتطبيقات الجيوبوليتيك:

سنطيل النفس عند الولايات المتحدة الأمريكية ومفاهيم الجيوبوليتيكا الأمريكية وتطبيقاتها لتاثيراتها القائمة:

فها هنا سنجد أمريكا هي وارثة الحضارة الغربية وآخر تجلياتها، فهي روما العصر وهي أكبر قوة اقتصادية وهي أكبر قوة عسكرية وهي شرطي العالم ولذلك نحتاج أن نتعرف على امريكا كمفهوم.

أمريكا كفلسفة جيوبوليتيكية:

لقد قلنا أنّ أمريكا تنظر لنفسها كقوة بحر في مقابل قوى البر المتمركزة في أوراسيا، ولذلك فتحالفها مع بريطانيا واليابان وهي أيضا قوى بحر تحالف استراتيجي وبما أن قوى البحر تريد أن تسيطر على الجزيرة العالمية فعليها أن تتمركز في الهلال الداخلي وبالتالي تطوق قوى البر وتمنعها من الاستحواذ على الجزيرة العالمية وخيراتها. كما يجب عليها أن تسيطر على البحار الداخلية والمحيطات العالمية. وكذلك على كل وسائل التفوق في الجو وفي الفضاء الالكتروني.

أمريكا كفلسفة علاقات دولية:

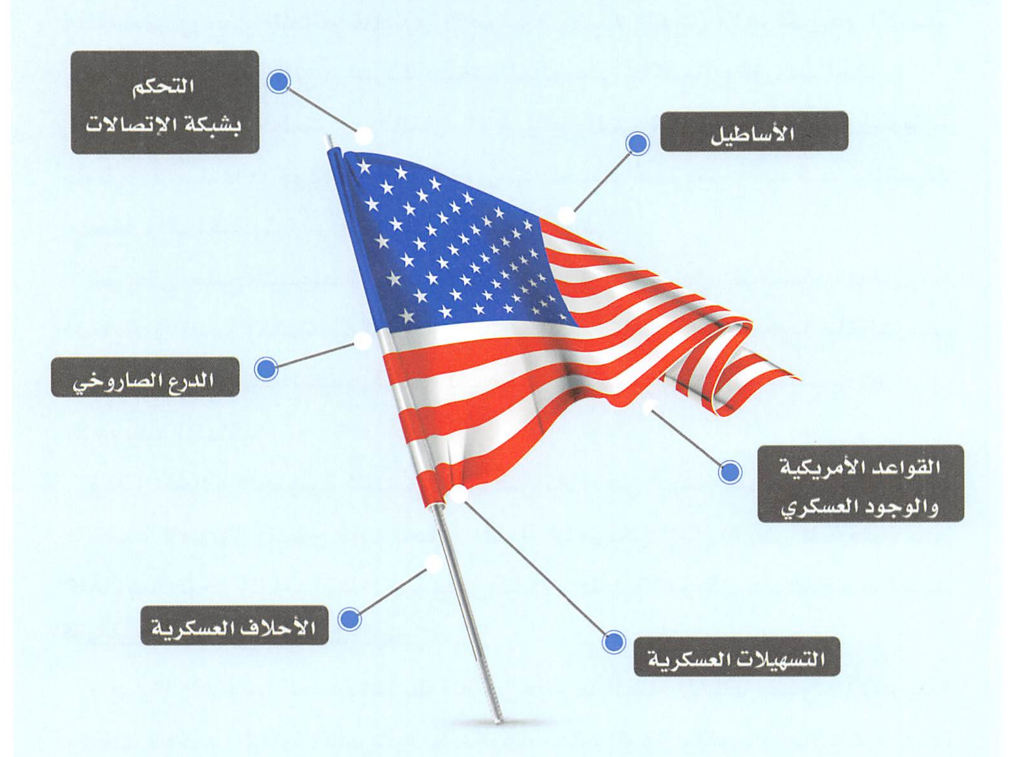
ترى الولايات المتحدة الامريكية أنها مركز العالم ويجب ترتيب العالم لتحقيق مصالحها ورؤيتها للعالم فالمبادئ الأمريكية ونمط العيش الأمريكي هو الأنسب للعالم كله ولذلك يقال أن أمريكا صنعت العالم على شاكلتها ووفق مصالحها:

لنبدأ بالوضع العسكري: فالقارة الأمريكية الشمالية تعتبر منطقة أمريكية بامتياز لا يسمح بوجود لأي قوى أخرى في المحيط الأمريكي وتعد كندا والمكسيك ملحقات أمريكية وتم شراء آلاسكا من الروس مبكراً.

ثم يأتي خليج المكسيك والبحر الكاريبي وفيه تظهر أول التحديات، فعلى هذا الخليج أو البحر تمتد كوبا كسيجار ناتئ عصي على التدخين... وكوبا حافظت على استقلالها ومنهجها الشيوعي حتى الساعة وهي شكلت وتشكل قلقا بالنسبة للإدارات الأمريكية المتعاقبة.

وعلى الحافة الجنوبية للخليج تطل فنزويلا وهي ايضاً تعد من الدول المارقة بالنسبة لامريكا وتشكل قلقاً لصانع القرار الامريكي الذي يسعى للسيطرة على كامل هذا البحر الهام. فهذا البحر يعبر فيه الأسطول الأمريكي عبر قناة بنما ليصل المحيط الأطلنطي بالمحيط الهادي.

وأمريكا الجنوبية عدت ولمدة طويلة من عمرها الفناء الخلفي للدولة الأمريكية ولطالما تحكمت الإدارة الأمريكية في حكومات هذه الدول وقامت بانقلابات متعددة فيها لضمان مصالحها واليوم تعود الحيوية الديموقراطية للكثير من هذه الدول وبدأت تنازع وتنتزع استقلالها وتكون تجمعاتها في محيطها الكبير وتظهر فيها قوى متقدمة كالبرازيل والارجنتين وقد يحدث الله من بعد ذلك أمراً.



الترتيبات العسكرية الأمريكية للسيطرة على العالم

هناك ١٣ أسطول أمريكي تجوب جميع البحار المفتوحة والمغلقة في العالم ولك أن تعلم أن مجموع وزن هذا الأسطول الأمريكي يبلغ ١٣ ضعف وزن الثلاثة عشر أسطولاً التي تأتي بعده في الترتيب مجتمعةً، وأن كل أسطول يتكون من حاملة طائرات وسفن هجوم برمائية وغواصات وسفن لصواريخ كروز الموجهة عن بعد والمدمرات التي تحمل الطوربيدات لعمليات تدمير السفن، وتتمتع بسرعة الحركة ثم تاتي الفرقاطات وهي عادة ما تقوم بمهام الحماية. فالمحيط الهادي والمحيط الأطلنطي والبحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي كلها تجوبها القطع الأمريكية حتى تكون قريباً من كل مناطق العالم.

القواعد الأمريكية والوجود العسكري

في الولايات المتحدة الأمريكية ما يقرب من ٦٠٠٠ قاعدة على أرضها، وفي أكثر من ١٣٠ دولة في العالم توجد أكثر من ٧٠٢ قاعدة على أراضي دول صديقة. فبريطانيا وأوربا وإفريقيا والشرق الأوسط وآسيا الوسطى وآسيا القصوى وجزر البولينيز وأستراليا واليابان كلها تتواجد فيها القواعد الأمريكية والقوات الأمريكية.

التسهيلات العسكرية:

وحيث لا توجد قواعد أمريكية توجد التسهيلات العسكرية وهي اتفاقيات تسمح لأمريكا باستخدام أراضي ومرافق الدول وفق اتفاقيات مسبقة لتسهيل عملياتها العسكرية.

الأحلاف العسكرية:

بعد الحرب العالمية الثانية نشرت الولايات المتحدة الأمريكية منظومة أحلاف عسكرية حول العالم امتدت لتطويقه، ورغم أن كثيراً من هذه الأحلاف اضمحلت ولكن بقي الناتو كذراع تحالفية كبرى وهو في توسع مستمر.

حرب النجوم:

وهو نظام دفاعي يعتمد المحطات الفضائية لتوجيه أسلحة الليزر لإسقاط أي أسلحة بالستيه موجهه لأمريكا أو حلفائها.

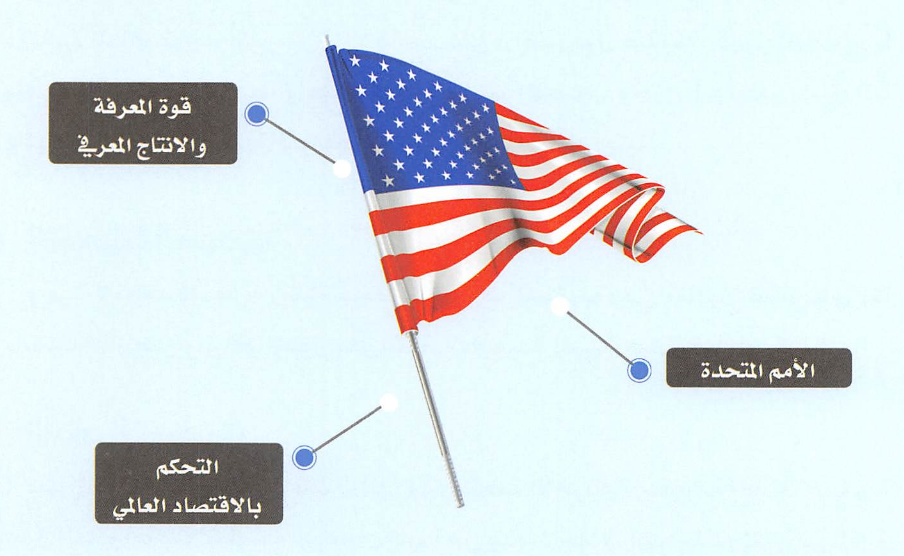
الدرع الصاروخي:

نظام دفاعي آخر يقام في أوربا وحول روسيا الآن موجه لتحييد الصواريخ عابرة القارات.

التحكم بشبكة الاتصالات:

تمر شبكة الاتصالات العالمية بالولايات المتحدة فالرسائل البريدية الإلكترونية كلها تذهب لأمريكا ثم توزع على العالم.

الترتيبات غير العسكرية الأمريكية للسيطرة على العالم



الترتيبات غير العسكرية الأمريكية للسيطرة على العالم

الأمم المتحدة:

أكبر المنظمات العالمية لحفظ الامن والسلام الدوليين هي في جوهرها فكرة أمريكية طرحت بعد الحرب الثانية كبديل لعصبة الأمم وبغرض تحييد القوى الأوربية وإنشاء العصر الامريكي الجديد. وقد أعطت أمريكا ألارض والمباني لهذه الجمعية في نيويورك كقرض بدون فوائد عن طريق روكفلر.

شكلت أمريكا الأمم المتحدة وأساسها الأربعة عشر نقطة التي طرحها الرئيس ويلسون وعلى أساسها اقترح ترومان المنظمة الجديدة لتقوم بحفظ السلام والأمن الدوليين ومنع الاعتداء ودرء الحروب، وبعد واحد وأربعين يوماً من التوقيع أعلنت أمريكا أنها فوق القانون الذي وقعت عليه حيث ضربت هيروشيما بالقنابل النووية.

وقد وضع حق الفيتو لضمان مصالح الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية (توازن مصالح القوى الكبرى) فطورت أمريكا آلية للتغلب عليه وتقوم على فكرة أن أي موضوع يفشل في مجلس الأمن بسبب الفيتو يحال للجمعية العمومية للأمم المتحدة وهي تصدر عبر نظام التصويت قراراتها وتوصياتها وهي غير ملزمة ولكن تصلح كغطاء لشرعية عمل الولايات المتحدة الأمريكية وعبره تدخلت في الحرب الكورية وفي المجر وفي العدوان الثلاثي وفي العراق وفي ليبيا رغم معارضة بعض أعضاء مجلس الأمن ومن لهم حق الفيتو.

وأمريكا من الدول التي تريد إسقاط حق الفيتو وهي من أول الداعين لتوسعة عضوية مجلس الأمن بحيث يرتفع من تسعة إلى خمسة عشر عضواً وجعل القرار يمر بموافقة تسعة من المجلس وهناك مقترح لزيادة عدد الأعضاء لاثنين وثلاثين عضواً.

وكذلك تسعى أمريكا لتوسعة دور الأمين العام (والذي تلعب أمريكا الدور الأكبر في تعيينه) والوكالات الدولية وتسهيل تدخلهم في النزاعات بعيداً عن مجلس الأمن.

التحكم في الاقتصاد العالمي:

عام ١٩٤٤ قررت الدولة المنتصرة الأكبر في الحرب العالمية الثانية صياغة النظام الاقتصادي الدولي في مؤتمر عقد في بريتون وودز حول أسس إدارة النظام الاقتصادي العالمي. وقد تمخض المؤتمر عن عدد من المؤسسات التي تحكم العالم اليوم:

» صندوق النقد الدولي (١٩٤٥م):

ويقوم على رأس مال مشترك بالنسبة للأعضاء وبنسب متفاوتة ولأمريكا النصيب الأكبر فيه وتساعدها أربع دول لتشكل المساهمين الأكبر وهم اليابان وفرنسا وبريطانيا والمانيا وهو يقوم بـ:

- مراقبة السياسات المالية للدول.
- إقراض الدول وفق شروط يحددها.
- تقديم المساعدات الفنية للدول المحتاجة والتوصيات.

» **البنك الدولي للإنشاء والتعمير:**

وهو المسؤول عن قروض التنمية للدول المختلفة وفق شروط محددة

» **الجات GATT:**

ذراع أخرى تهدف لتحرير التجارة العالمية من قيود الحمائيات التي تفرضها الدول لحماية اقتصادياتها المحلية.

» **المنظمة العالمية للتجارة:**

وهي امتداد تطبيقي للجات. بالإضافة لمنظمات أخرى رديفة مثل الاتحاد الأوربي، ومنظمة التجارة بين الأمريكتين ومنظمة النافتا.

وتمتد فكرة التحكم بالاقتصاد لنظام منح تسهيلات للمستجيبين ونظام عقوبات للمتمردين.

قوة الانتاج المعرفي:

الكتاب و المدرسة والجامعة ومراكز البحث ودور النشر.

قوة الاعلام ووسائل الترفيه والرياضة:

ومن ذلك السيطرة على وكالات الانباء والمحطات الفضائية وكبريات شركات الانتاج السينمائي وصناعة الرياضة والترفيه.

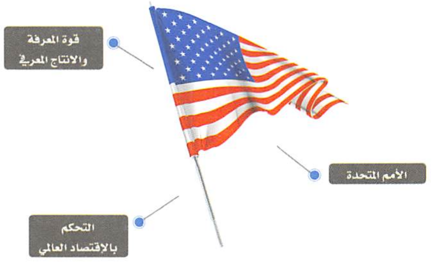
الخلاصـــــة

التطبيق الأمريكي للجيوبوليتيك أدى لمنظور كوني مهيمن على أهم المفاصل الحساسة للعالم سواء عن طريق القوة الناعمة أو القوة الصلبة.

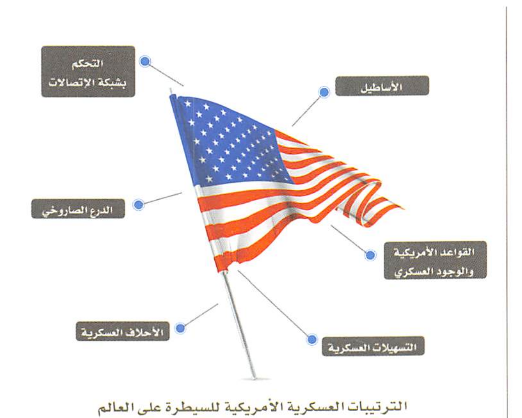
ملخص الفصل الثامن

بعض تطبيقات الجيوبوليتيك

- الدولة كائن عضوي (ألمانيا نموذجاً)
- سعي هتلر للسيطرة على قلب العالم
- أمريكا تنظر لنفسها كقوة بر في مقابل قوى البحر
- ترتيبات أمريكا العسكرية وغير العسكرية للسيطرة على العالم



الترتيبات غير العسكرية الأمريكية للسيطرة على العالم



الترتيبات العسكرية الأمريكية للسيطرة على العالم

أمريكا نموذجاً

الفصل التاسع

عالــم
ما بعد أمريكا
والقوى العالمية

لو نظرنا لخارطة العالم بعد الحرب العالمية الثانية ورأينا العملاق الأمريكي والعملاق الروسي وقد أصبحا أسياد عالم ما بعد الحرب، ثم نظرنا لانفتاح شهيتهما على العالم وسباقهما الحميم للسيطرة على أجزائه وحيازة المواقع الاستراتيجية في العالم سنرى مجموعة أشياء:

رايات فكرية كبرى تشكل أيديولوجيات جاذبة مرفوعة من الطرفين، فأمريكا وحلفاؤها رفعوا لافته الحرية والديموقراطية وضرورة حماية العالم الحر ويواجههم في الطرف الآخر الروس أو الاتحاد السوفييتي بشعار الاشتراكية وحماية العمال والمحرومين في العالم.

اهتمام بالسباق العلمي المعرفي باعتباره الطريق لحيازة التفوق العسكري على الارض،وكل نقلة معرفية أو اختراع جديد يحوزه أحد الطرفين يعني سباقاً جديداً واندفاعة جديدة للطرف الآخر.

رهان على الاقتصاد من قبل الغرب، فالعجلة السوفييتية كانت أضعف من العجلة الغربية في النشاط الاقتصادي وبالتالي فإمكانية الاستمرار في الصرف على السباق التسلحي وعلى إدارة المعارك الخارجية والصرف على الحلفاء تصبح عبئاً على موارد الطرف الأضعف، وهو الاتحاد السوفييتي، وبالتالي تتأثر قدراته على السيطرة على الداخل والتحرك في الخارج.

رهان على الدعاية السياسية وصناعة الخبر ورسم الصورة، وقد تفوق الغرب فيها بامتياز مع مرور الوقت وما صراع تاس ورويترز كوكالات أنباء أو هوليود وأفلام جيمس بوند أو حتى المناسبات الرياضية العالمية إلا مظهراً من مظاهر هذا الصراع.

رهان التحركات والتحركات المضادة ففي حرب التموقع في العالم بعد الحرب العالمية الثانية شهدنا حركة دؤوباً من قبل القطبين الكبيرين، حيث بدأت روسيا

في إنشاء الأحزاب الشيوعية وإدارة الانقلابات لإنشاء المنظومة الشيوعية وتحركت أمريكا وحلفاؤها لوقف الزحف الشيوعي وبدأ نشوء الدول الرديفة لكل قطب وفي هذا الصراع رأينا مراحل من أهمها:

بين ١٩٤٥-١٩٤٩ توسع الاتحاد السوفييتي غرباً وإنشائه للديموقراطيات الشعبية في رومانيا وبلغاريا وألبانيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا، ودخلت الكتلة الشيوعية داعمة للحزب الشيوعي اليوناني أثناء الحرب الأهلية اليونانية في مقابل القوى المدعومة من الغرب الرأسمالي. وأطلق السوفييت مشروع مولوتوف لبناء دول أوربا الشرقية وأطلقت أمريكا مشروع مارشال لبناء ما تهدم من الدول الغربية لعمل حائط مواجه للسوفييت في الغرب.وتأسس مكتب الكومنفورم الاعلامي السوفييتي عندها. وفي المرحلة الثانية بين ١٩٤٨-١٩٥٣ ستنشب أزمة برلين وسيحاصرها الاتحاد السوفييتي وسينشئ الغرب الحلف الأطلسي وسيدعم السوفييت الحزب الشيوعي الصيني في الثورة الشيوعية في الصين لتقوم جمهورية الصين الشعبية وسيدعم الغرب الفلول الهاربة من الصين ليقيم دولة في تايوان. وسينشئ الغرب دولة حليفة له في الجزء الجنوبي من كوريا والسوفييت دولة حليفة لهم في الجزء الشمالي من كوريا لتقوم الحرب بينهما، وسيكرر نفس السيناريو في فيتنام حيث ستولد دويلة في القسم الجنوبي تابعة للغرب ومدعومة به ودويلة في الشمال مدعومة بالصين وروسيا.

أما المرحلة الثالثة بين ١٩٥٣ -١٩٩٠ فستشهد إنشاء حلف جنوب شرق آسيا لحصار الاتحاد السوفييتي شرقا وستنشأ أزمة المجر وأزمة برلين وسيبدأ الحصار الأمريكي لكوبا عام ١٩٦٢ وستحدث أزمة براغ ١٩٦٨، وإسرائيل التي ستهزم المحيط العربي في ١٩٦٧. وسيسدل الستار على المشهد بآخر معارك السوفييت قبل الانهيار في أفغانستان والتي بدأ غزوها ١٩٧٩ وانتهى بانسحاب الاتحاد السوفييتي عام ١٩٨٩، ثم تبعه عام ١٩٩٠ انهيار وتفكك الاتحاد السوفييتي.

آثار كبرى بقيت من ذلك الصراع بين العملاقين

الاتحاد السوفييتي بتفككه خلف وراءه خمس مجموعات من الجمهوريات أولها السلاف (روسيا واوكرانيا وبيلاروسيا) والبلطيق (إستونيا وليتوانيا ولاتفيا) والأتراك (تركمانستان وكازاخستان وأوزبكستان وقرغيزستان) والقوقاز (أرمينيا وجورجيا وأذربيجان) وأخرى (مولدافيا وطاجيكستان).

منطقة غير مستقرة في البلقان الأوربية وجمهوريات صغيرة متنازعة وسريعة الاشتعال مثل صربيا والجبل الأسود وكرواتيا والبوسنة والهرسك وألبانيا.

منطقة غير مستقرة في البلقان الآسيوية أو شبه الجزيرة الهندية الصينية وهي تضم كمبوديا ولاوس وفيتنام بشكل خاص وميانمار وسنغفورة وتايلاند بشكل عام.

الصيـن تدخل المعادلة

في المعادلة العالمية المستقبلية تقع الصين في مركز أنظار العالم بوجود أكبر كتلة سكانية فيها مليار وبضع مئات الملايين من البشر. هذا الكم البشري يمتلك المعرفة والنشاط والدافع القومي ويمتلك الدولة المركزية القوية والتخطيط المركزي الجاد. الصين دولة تتقدم على كل المحاور فنموها الاقتصادي متواصل ونموها العلمي متواصل وسياساتها الاقتصادية تتمتع بالكثير من الذكاء وقوتها العسكرية تتنامى وهي تنسج خيوط قوتها ببطء ولكن بإحكام، وهي تستفيد من كل الظروف الدولية في تقوية شبكاتها الاقتصادية. وفي عالم العولمة والبحث عن الربح التجاري واختفاء الحواجز القومية والوطنية من الفضاء الاقتصادي، حيث أصبحت الصين قبلة المستثمرين الصناعيين وهي ورشة العالم الخلفية الاقل تكلفة والتي تضمن الربح الأكبر.

ومع ذلك ففي السياسة الدولية ليس للصين ذات الحضور لصناعة القرار الدولي فهي قوة ممتنعة عن الفعل السياسي وتنظر باستمرار بحذر شديد للقضايا الدولية وتتدخل بالقدر الذي يحفظ مصالحها في أضيق نطاق.

ويمكن من دراسة النمط الصيني الحالي إدراك بعض الأمور الهامة: فالصين مدركة أن مشروعها العلمي والاقتصادي مازال متخلفاً عن نظرائها الغربيين،

وبالتالي فخطابها يتساوق مع هذه السياسة. فنبرة التهديد لا تعلو عند الصينين إلا عندما تمس قضاياهم الجوهرية مثل هونج كونج وتايوان والتبت والأوضاع الداخلية في الصين، أما ما عدا ذلك فالصين تفضل استخدام وسائلها الناعمة لمواجهة المواقف المختلفة. والصين في نفس الوقت تخلت عن فكرة الأيديولوجيا الكثيفة لصالح قدر من الأيديولوجيا يحفظ الاستقرار الداخلي والعدالة الاجتماعية، ولكن انحازت بشكل كبير في التنمية الاقتصادية وفي عجلة تدوير الاقتصاد العالمي للنظام الرأسمالي. وتعمل الصين على المحافظة وتطوير العلاقة مع أوربا باعتبارها وسيلة كبيرة للنمو الاقتصادي كأسواق للمنتج الصيني وكمصدر لجلب الاستثمارات.

وطموحات الصين بالنسبة لصانع القرار الغربي معتبرة وينظر لها بإيجابية حتى الآن، ولكن السؤال الاستراتيجي الغربي هو (متى يجب أن نقلق؟).. فمع استمرار الصينين في النجاح واستمرار الأزمات التي تعصف بالغرب ستأتي اللحظة التي ينقلب فيها الميزان الاستراتيجي في صناعة القرار العالمي، وعندها لن تحتاج الصين للعضلات العسكرية إلا كقوة توازن، وستكفيها قوتها الاقتصادية لإدارة موازين اللعبة الدولية.. ومن هنا تأتي حيرة صانع القرار الغربي.

روسيـا تخرج من بين الأنقاض

روسيا ذلك العملاق الآسيوي الضخم الممتد كسحابة عظمى على شكل صقر رابض على القارة الآسيوية وممتد ليلامس أوربا تشكل لغزاً آخر لصانع القرار الأوربي. فروسيا تمتلك الطاقة العلمية واقتصادها ينمو باطراد وروحها القومية متوثبة وذاكرتها في الصراع مع الغرب الرأسمالي حاضرة وهي وإن انضمت للمعسكر الرأسمالي اقتصاداً فمصالحها كقوة اقتصادية قادرة في حال قوتها على تغير جغرافيا النفوذ العالمي لصالحها. وكل ما تحتاجه للسيطرة على آسيا أو الجزيرة العاليمة هو تحالف نوعي مع الصين، وعندها تصبح كل الجزيرة العاليمة منطقة روسية صينية بامتياز بسبب القرب الجغرافي والعمق الاستراتيجي.

ولا زالت روسيا تشكل هاجساً غربياً ممتداً رغم انحلال الاتحاد السوفييتي، ومحاولة الغرب حصارها والتقليل من دورها العالمي لا زال جارياً، وكذلك محاولة



تطويقها بالقواعد وشل منظومتها الصاروخية بالدرع الصاروخي والاستحواذ على الدول التي انحلت من الاتحاد السوفييتي عبر توسيع الحلف الاطلسي. كل ذلك جارٍ على قدم وساق ومع ذلك فروسيا المتعافية مطلوبة ولكن إلي أي حد مطلوب تعافيها ؟ وما المدى الزمني الذي تحتاجه للتعافي الكامل ؟

نمور آسيا *

في الربع الأخير من القرن العشرين ظهر مصطلح النمور الآسيوية ليشمل سنغفورة وماليزيا وتايلند وأندونيسيا وكوريا الجنوبية وأصبحت هذه الدول نموذجاً يشار إليه عالمياً بسبب نموذجها التنموي الناجح.

فقد حققت البلدان المعنية، قفزات اقتصادية صناعية تحديداً في أواخر القرن الماضي، كانت مدعاة للذهول والتساؤل والجدال، حيث وصل معدل نموها الى ١٠٪.

لكل بلد من بلدان النمور حكايته مع التطور، ورغم ذلك كان لها ما يجمعها من السمات والصفات. لعل أهمها هو أنها خالفت السائد حينها في الأدبيات الاقتصادية، تلك التي قرأت النمو كمرادف لتوفير الثروات الطبيعية التي استبدلت بالتركيز على الاستثمار في أحد عوامل الإنتاج المتوافرة عندها، ألا وهو الإنسان نفسه.

ونذكر من أهم الظواهر الاقتصادية المشتركة بينها الآتي:

١. تبني الليبرالية الاقتصادية، وتشجيع استقدام الاستثمارات الأجنبية.

٢. الاستناد إلى التصنيع والتصدير للدول الغنية.

٣. الاقتداء بالنموذج الياباني.

٤. غياب الديموقراطية في البنى السياسية والسلطوية.

وفي خلال ربع قرن حققت قفزتها الاقتصادية وأصبحت مثالا يحتذى.

وفي العام ١٩٩٧ حدثت الأزمة المالية في تايلند لتصيب بعدها كل الاقتصاديات التي تمثلها النمور الآسيوية. فماذا حدث بعدها؟

لم تمض سوى سنة من الأزمة حتى وصلت احتياطياتها مجتمعة من العملة الأجنبية نحو ٣ تريليونات دولار، وتضاعف تدفق رؤوس الأموال إلى أسواقها نحو ٦ مرات. وصادراتها الخارجية تمثل حصة كبيرة من إجمالي التجارة العالمية، ومعدلات

* نمور آسيا : http://www.alwaqt.com/art.php?aid=90803

نموها تتراوح في حدود ٩,٥٪. تعلمت من تجربتها، وحولت الإخفاق إلى نجاحات مشهودة، مستندة إلى منظومة فكرية قيمية تقدس العمل والتخطيط الدقيق. وقد نجحت في أغلبها أولاً: بفضل جديتها في قبول التحدي واستعدادها للمعالجة الجذرية لأسباب الأزمة وثانياً: بضخ صندوق النقد الدولي أموالاً كافية لاستعادتها عافيتها ثقة منه في صدق جهودها وتوفر الإنسان القادر على التنمية فيها وهذا مرتكز النجاح الأول في هذه الدول.

سنغفـورة لم تنتظر طويـلاً

أفضل المؤشرات الاقتصادية تقع في سنغفورة على مستوى التنافسية العالمية فهي:
قاعدة متقدمة للنقل والخدمات على مستوى العالم:
أحد أهم قواعد النقل والخدمات للسواق العالمية. وهي من أفضلها من حيث التقنية والمعلوماتية على الأطلاق وفيها ٧٠٠٠ شركة متعددة الجنسيات.

اقتصاد المعرفة:

وسبب تحولها لأفضل المناطق الجاذبة للشركات العالمية أنها تمتلك أهم مراكز البحوث العالمية، فاقتصادها بات اقتصاد معرفة، حيث تخصص ٢٪ من الناتج المحلي للأبحاث، والاتجاه اليوم إلى تخصيص ٣٪، والأهم من ذلك هو توثيق العلاقة بين هذه المراكز البحثية والقطاعات الاقتصادية، خصوصاً الصناعة. وتتكاثر نسبة العاملين في الأبحاث لتصل الى ٤٧٤٥ عاملاً من كل مليون نسمة، علماً أن هذه النسبة في الولايات المتحدة هي ٤٤٨٤ عاملاً.

الاقل بيروقراطية:

القطاع الوظيفي في سنغافورة هو الأرشق في العالم، حيث يوجد فقط ٥٠ ألف موظف، ينالون أعلى الرواتب، فمثلاً راتب الوزير ١,٢ مليون دولار سنوياً، أي ثلاثة أضعاف راتب الرئيس الأميركي، وراتب رئيس الحكومة مليونا دولار، لذلك ينخفض الفساد الإداري والمالي إلى حد كبير، وتتصدر مؤشرات الشفافية في العالم.



الإنتاجية العالية:

العمالة أفضل الموارد السنغافورية، حيث تتميز بالإنتاجية العالية والمهارة الفنية وأخلاقيات العمل الرفيعة، ويعتبر الإنترنت أسلوب حياة، فمن كل عشرة أشخاص ٩ يستخدمون البريد الإلكتروني، أي ٩٠٪ من السكان، و٧٥٪ من الأسر تقتني جهاز كمبيوتر، ومنهم ٢٨٪ أكثر من اثنين.

وصلت عوائد صناعة التكنولوجيا العام، ٢٠٠٦ إلى ٧,٢٢ مليارات دولار، بزيادة ٨٪ عن العام الذي سبق (حسب دائرة الإحصاء).

التعليم الراقي:

وتنعم سنغافورة بأحدث مستويات وسائل التعليم وشموله، وقد تصدرت الأولمبياد العالمي في امتحانات المواد العلمية العام ٢٠٠٦.

تشجيع زيادة النسل:

يتميز سكان سنغافورة البالغ نحو ٤ ملايين نسمة، بمستوى معيشة عال، وبتقاليد منفتحة (كوسموبوليتية)، تحتضنهم ظروف استقرار وأمان وسمعة طيبة في إنجاز الأعمال، إضافة إلى حماية متشددة للملكية الفكرية، حتى أصبحت مركزاً موثوقاً به لعمل الشركات وتواجدها. ونتيجة للتطور المنجز وللحاجة المتزايدة للعنصر البشري، تنفق الدولة أموالاً طائلة على تشجيع النسل، فقد تم انفاق ٣٠٠ مليون دولار تشجيعاً لهذا التوجه في العام ٢٠٠٦.. كيف لا، وحصة الفرد من الناتج الوطني تقريباً ٣١ ألف دولار سنوياً في العام ذاته.

سنغفورة لم تعد نمرا بل أصبحت أسدا:

شكل قطاع الصناعة ٢٧٪ والناتج والخدمات والتجارة الثلثين الباقيين من الناتج القومي. وتمثل النمو الاقتصادي العام ٢٠٠٦ بواقع ٦٦٪ عن السنة التي سبقتها، وكان في سلع الإلكترونيات والكيماويات، وخدمات الهندسة والعلوم الطبية الحيوية. أرقام الانتاج تشير الى الموقع المتقدم في الاقتصاد العالمي، حيث تتلخص بالقياس العالمي بالآتي: ٧٠٪ من منصات استخراج البترول البحرية، ٥٠٪ من المراكب السريعة، ٣٥٪ من الزجاجيات المتعددة الكربونات لصنع الأقراص المدمجة C.Ds، ٢٥٪ من ماكينات قطاع البيع، تحوي ثالث أكبر مصفاة بترول، ومن أكبر شركات الاتصالات.

بالقياس الآسيوي، تحوي أحد أكبر مؤسسات انتاج البتروكيماويات، وأكبر مركز لصيانة وإعادة بناء محركات الطيران.

ويعمل الاقتصاد السنغافوري اليوم على تطوير قطاعات ناشئة مهمة منها: التقنية الحيوية والدقيقة، التعليم الدولي، تنقية البيئة والطاقة البديلة.

ماليزيا: الأزمة كبوة جواد

نهضت ماليزيا من كبوتها، وماليزيا التي وضعت استراتيجيتها الاقتصادية على مرحلتين، الأولى تتم باحلال المنتجات الوطنية مكان الواردات. والثانية: التحول إلى سياسة التصدير، عبر النمو الصناعي والتحول الهيكلي.

كانت الزراعة تشكل ٣٩,٣٪ العام ١٩٥٧ والعمالة فيها ٦١,٣٪، فتحولت الى ١٣,٦٪، في حين أن الصناعة كانت ١١,١٪ والعمالة ٦,٤٪، وصلت إلى ٣٣,١٪ والعمالة ٢٥,٩٪. هذا التغيير والتبديل في البنية الاقتصادية أدى إلى نمو الصادرات المصنعة، ورفع مستوى تقنيات العمل.



أهم أسباب النجاح:

قامت السياسات الاقتصادية الماليزية على قاعدة تأمين البيئة المؤاتية لنمو المدخرات، ولجذب الاستثمارات الأجنبية، واستطاعت إدارة مشكلة التضخم المالي، ونقص العمالة. فركزت على التخصيص الكفء للموارد المتاحة، والتوجه نحو الاستخدامات الاستثمارية ذات الانتاجية الأعلى.

محور فلسفة الادارة الاقتصادية الماليزية، يتلخص في المزج الجيد بين آليات السوق والتدخل الحكومي، وكذلك إشراك مختلف الفئات الاجتماعية في عملية التنمية، بقيادة إدارة اقتصادية حكيمة توحي بالثقة. حيث ركزت ماليزيا بعد الأزمة على استعادة قيمة العملة والحفاظ عليها وزيادة متوسط الدخل ودعم الفقراء وتخفيف حدة التضخم والحفاظ على القدرة الشرائية للأجر. واستندت هذه التوجهات على التمدين "عكس الترييف"، لتصل نسبة سكان المدن الى ٦٠٪. وعلى التدريب والتأهيل المهنيين، وبالتالي عرض قوة العمل الماهرة والقادرة على سد حاجات الصناعة المتنامية، كما أنها عملت على التقليل من الاعتماد على العمالة الاجنبية الحيوية والدقيقة، التعليم الدولي، تنقية البيئة والطاقة البديلة.

التعليم على حساب الأمن:

لذلك كان من الضروري تحسين مستوى التعليم، وربط الأجور بإنتاجية العمل. ولهذا كانت خطوة تقليل الإنفاق الحكومي على مصروفات الأمن ٠,٨٪، وزيادة المصروفات على التنمية ١٦,٣٪ من الموازنات.

وحسب دائرة الإحصاء المركزي، كانت المؤشرات الاقتصادية الماليزية تؤكد تحقيق الاهداف. فقد وصل النمو العام ٢٠٠٦ الى ٦٪، وفي الأشهر الثلاثة الأولى من العام ٢٠٠٧ الى ٥,٣٪. وتراجعت نسبة التضخم إلى ٢٪ فقط العام ٢٠٠٦.

وكانت الخدمات والبناء أساس المساهمة في النمو، حيث كانت النسب ٩,٦٪ و٤٪ على التوالي: أما الزراعة فكانت ٢٪ والصناعة ١,٧٪ والتعدين ١,١٪. حصة الفرد من الصادرات ٤٨٠٠ دولار، وهذا أعلى من حصة الفرد الأميركي حيث تصل إلى ٣١٠٠ دولار. إذن، عادت ماليزيا نمراً أقوى وأفضل من السابق.

كوريا الجنوبية الأكثر نضجاً

تعتبر التجربة الكورية الجنوبية أكثر التجارب نضجاً، فقد تحولت من الدولة الآسيوية الثالثة الأكثر فقراً في الخمسينيات إلى المرتبة الثالثة اقتصادياً في آسيا بعد الصين واليابان، والعاشرة على صعيد العالم.

تشكل صادرات اليوم ٤٠٪ من النشاط الاقتصادي، وتنمو بوتائر لافتة، فمن ٢٩٪ عام ٢٠٠٣ إلى ٣١,٢٪ عام ٢٠٠٤، ووصلت إلى ٢٥٥ مليار دولار عام ٢٠٠٥ في حين كانت نسبة النمو الاقتصادي عموماً ١٠٪.

تعد السيارات من أهم المنتجات الكورية، ٣,٢ ملايين سيارة العام، ٢٠٠٥ عدا المصانع الكورية المنتشرة خارجها.

اعتمدت الولايات المتحدة الأميركية على كوريا كأحد أهم الأسواق، لذا ركزت عليها في تعاملاتها الاقتصادية.



بعد الأزمة وعلى مدار العام ٢٠٠٠ حققت كوريا الجنوبية تقدماً هائلاً على صعيد الاتصالات والتكنولوجيا، ووصلت إيراداتها اليومية منه العام ٢٠٠٥ ما يفوق ٣٠٠ مليون دولار، حيث وصلت في شهر يناير/ كانون الثاني وحده الى ٥,٧ مليار دولار، وكقيمة سنوية ٨٥ مليار دولار (حسب وزارة التجارة والصناعة)، أما نسبة النمولعام ٢٠٠٧ لهذا القطاع تحديداً (يتوقع أن يصل إلى ٨٪).

تقلصت معدلات البطالة عام ٢٠٠٦ الى ٣,٩٪ من حجم العمالة البالغة ٢٣ مليون من مجموع سكاني نحو ٤٨ مليون نسمة، وأسواق الطلب على العمالة مفتوحة تستوعب كل قادم، خصوصاً في قطاعي الزراعة والخدمات.

وللدلالة على حجم الطلب على العمل، نشير إلى ارتفاع أعداد المتقاعدين الذين يحصلون على عمل مرة ثانية، ومن المتوقع أن تحتل كوريا الجنوبية المركز الثامن عالمياً العام ٢٠٢٠ على صعيد سرعة النمو حسب وزارة التجارة.

تايلنـد شرارة الأزمـة

تايلند التي انطلقت منها شرارة الأزمة، دخلت مرحلة النقاهة عام ١٩٩٩ فزاد معدل نموها ٤,٤٪، ثم وصل عام ٢٠٠٥ الى ١٠٪، وتركزت قطاعاتها الاقتصادية على الصناعة ٤٠٪ والزراعة ١١٪ و٤٩٪ خدمات.

تميزت بانتاج الأثاث، والمواد البلاستيكية، والمجوهرات، وأجهزة الكمبيوتر، فكان معدل نمو صادراتها عام ٢٠٠٦ ما يقارب ٧٪، أما أهم الصادرات فهي أجهزة الكمبيوتر والملابس والأرز. رغم أن معدل التضخم عام ٢٠٠٥ وصل إلى ٣٪، فقد كان نصيب الفرد من الناتج المحلي ٦٩٠٠ دولار.وتستورد السلع الرأسمالية والاستهلاكية والسلع الوسيطة، وسددت قروضها لصندوق النقد الدولي، ونما الاستثمار الخارجي بمعدل ١٩٪، ولم تصل إلى مستوى أخواتها، لكنها تسير في طريق النمو الحقيقي.

إندونيسيا والتخلف عن الركب

هي آخر الدول التي سددت قروض الإنقاذ، البالغة ٧,٨ مليارات، لكنها أيضاً سددت قبل أربع سنوات من تاريخ الاستحقاق، لتوفر ٢٠٠ مليون دولار فوائد الدين.

انطلقت بعد الأزمة على أسس قوية، ونما اقتصادها بمعدل ٦٪ عام ٢٠٠٦، وأيضاً عام ٢٠٠٧، وذلك بدعم من الاستهلاك المتنامي والصادرات المتزايدة لسلع مختارة، وقد بلغت صادراتها (حسب دائرة الإحصاء الإندونيسي) ١٠٠ مليار دولار عام ٢٠٠٦، وتمتعت باستقرار أسعار صرف عملتها، والبورصة فيها تحوز على أفضل ثالث مؤشر بعد تايلند وكوريا الجنوبية. كما يبلغ احتياطيها النقدي نحو ٤٧ مليار دولار.

لكن المشكلة تتركز في:

- معدل التضخم ٩٪ وسعر الفائدة ١٠,٢٥٪.
- قطاعها البنكي قلل من حجم وشأن الإنجازات، حيث يفتقر للكفاءة والإدارة الجيدة للقروض، وعدم التعاون مع مجتمع الأعمال، وتفشي ظاهرة القروض غير المسددة، ومجمل السيولة الفائضة توظف في أذونات وسندات الخزانة.

» تخلف النظام الضريبي، إضافة إلى انتشار الفساد والممارسا ت غير التنافسية.

» كذلك هناك ثلثا الشعب الإندونيسي تحت خط الفقر، ومتوسط دخل الفرد المعلن ١٣٠٠ دولار، يضاف إلى كل هذا تفشي ظاهرة البطالة تقريباً ٢٠٪.

هونغ كونغ

عام ٢٠٠٦ احتفلت هونغ كونغ بالذكرى التاسعة لانضمامها إلى الصين، تحت شعار "بلد واحد ونظامان مختلفان" استقلال في إدارة الحكم وارتباط في الدفاع والعلاقات الدبلوماسية.

استطاعت أن تتخلص من الركود الاقتصادي، ويتزايد فيها الناتج نمواً من ٣,٢٪ عام ٢٠٠٣ إلى ٦,٨٪ عام ٢٠٠٤ و٧,٣٪ عام ٢٠٠٥ وصولاً الى ٨,٢٪ عام ٢٠٠٦ وهكذا تمضي بانتعاش اقتصادي واستقرار مضمون الخطى والوجهة.

ورغم أنها إحدى الدول الأكثر كثافة سكانية في العالم، فمعدل الحياة فيها الأعلى ٧٨,٦ سنة.

وهكذا رغم تأثرها الشديد بأحداث ١١ سبتمبر الأميركية، وبانتشار مرض السارس، وصلت نسبة البطالة فيها الى ٤,٩٪ فقط، والطلب على العمالة بازدياد.

ملاحظة:

التجربة الآسيوية تطرح عدداً من الأسئلة الجوهرية مثل: هل خامة الإنسان الأسيوي في هذه الدول من ناحية مفاهيم العمل والانضباط متفوقه عن نظيره العربي ؟ كيف تخلصت هذه الدول من عائق البيروقراطية وتحصلت على مستوى من الشفافية سمح بتقليل الفساد والهدر؟ ما هو تأثير غياب الديموقراطية على هذه المشاريع على الأقل في بعض هذه الدول؟ ما هو تاثير السياسات الرأسمالية على توزيع الثروة؟ وهل ستعاني من ظاهرة التمرد على السياسات الرأسمالية مستقبلاً أسوة بأوربا؟

تركيا تعود للمشهد

ليس مستغرباً دخول تركيا إلى المشهد الدولي بل المستغرب خروجها منه خلال الحقبة الماضية. فالأتراك كانوا لاعباً أساسياً في تاريخ المنطقة منذ العصور القديمة وحتى سقوط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤، وهم بهذا المعنى قوة تتمتع بذاكرة حية في الفضاء العالمي.

تركيا الجديدة التي ولدت على عهد حزب العدالة والتنمية هي ثمرة تحولات كبرى في فضاء الوعي التركي بمتغيرات العصر، حيث أصبح التحديث السياسي الجاد أساساً ومفتاحاً لاستقرار المجتمع وأصبح الوعي بأهمية العنصر الاقتصادي في صناعة الخارطة العالمية القادمة محوراً مركزياً في سياسة أية دولة واعية بالعصر.

ففي عصر فقدت الأيديولوجيا بريقها وحل محلها عنصر المنفعة وهو التعبير الذي كان أول من استخدمه شيفرنادزه وزير الخارجية السوفياتي وقتها، ثم التطور الذي لحق بهذا المصطلح ليصاغ في كلمة المصلحة، وهو المفهوم الذي تبلور أكثر حين انتبه أصحاب الفكر السياسي والاستراتيجي، إلى أن الاقتصاد أو بمعنى أدق القدرة الاقتصادية التنافسية، هي التي ستكون الأساس الذي تنبني عليه قوة الدولة ومكانتها ونفوذها الإقليمي، وفي ارتباط ذلك بالديمقراطية، والوعي بأن مكانة الدولة إقليمياً ودولياً، تأتي من قدرتها على استخدام إمكاناتها في التأثير على مجريات الأحداث في المحيط الإقليمي خارج حدودها.

وأهم أقطاب هذا الفكر أحمد داود أوغلو، وزير خارجية تركيا حالياً.

وقدحققت تركيا الديموقراطية ودولة القانون حتى الآن، ونجحت في الاختبار الاقتصادي فأصبحت أكبر اقتصاد في الشرق الأوسط بحجم ٦٠٠مليار دولار يقوم على الصناعة المتقدمة والقدرة الانتاجية التنافسية، وعزز ذلك بنجاحات كبرى في فتح أسواق جديدة.. ففي إفريقيا وحدها زاد عدد قنصلياتها عن ١٥ قنصلية مما ضاعف تجارتها الخارجية عشرين مرة.

وبطبيعة الجغرافيا حددت تركيا توجهها السياسي للمنطقة العربية التي تشهد فراغاً في المشروع العربي كقوة إقليمية تتنافس مع إيران وإسرائيل على ملء هذا

الفراغ وفي قلب المشهد القضية الفلسطينية.

ومن الواضح أن ذلك تم في ضوء الوعي بالحاجة الأمريكية للشركاء المؤثرين إقليمياً والذين يعينون في إدارة المشهد العالمي.

هكذا بدت تركيا قوة واعدة واعية لمتطلبات اللحظة التاريخية، وانطلقت لتحقق ذاتها القومية.



ويبقى السؤال الكبير: ماذا تمثل تركيا بالنسبة لنا كفرصة استراتيجية لاستعادة المشروع العربي الضائع؟

اللغز الإيراني؟

تبدو إيران اليوم كقوة أيديولوجية غير مستقرة، أو فلنقل نشاز عن المشهد العالمي، وهي في ذات الوقت قوة نامية تمتلك مواصفات القوة النشطة إقليمياً وراغبة في أن تلعب دورها في محيطها الجغرافي، والتطور الإيراني يبدو مربكاً لكل اللاعبين الإقليمين والدوليين ولكن لنقف على بعض تضاريس المشهد:

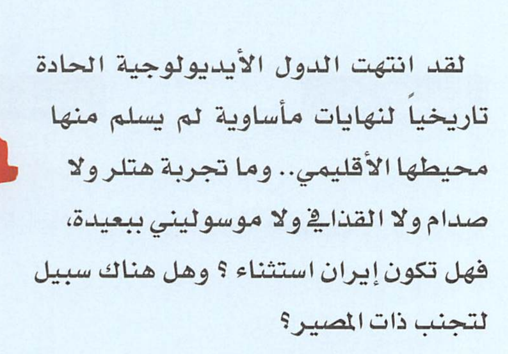
إيران قوة تتأرجح بين مفهوم الدولة الحديثة والحلم الديني الذي سينهي المشهد

الكوني بعودة المهدي الغائب. فهي من ناحية تريد أن تكون لاعباً معترفاً به في المشهد الدولي المعاصر، ومن ناحية أخرى تعد نفسها لحدث كبير مرتبط بعقائدها الدينية.

ومن هنا يجد الفاعل السياسي الدولي نفسه في حيرة.. هل يصدق خطابها الدبلوماسي أم خطابها الديني، وهما خطابان يقفان على طرفي نقيض.

وهي في محيطها الأقليمي تقدم نفسها كقوة صديقة وفي ذات الوقت قوة متدخلة تسعى لخلق نقاط ارتكاز مذهبية وسياسية في دول الجوار مما يقود لتسميم العلاقات بين طوائف الأوطان المستهدفة ويهدد أمنها واستقرارها الداخلي.

من المؤكد أن من حق إيران كدولة أن تسعى لتحقيق مصالحها المشروعة كقوة إقليمية، ولكن تعريف هذه المصالح في ظل الأيديولوجيا المسيطرة في إيران يجعل الأمر صعب الفهم. فأين تبدأ المصالح بتصوراتها الأيديولوجية التحضيرية لعودة المهدي وأين تقف؟.



لقد انتهت الدول الأيديولوجية الحادة تاريخياً لنهايات مأساوية لم يسلم منها محيطها الأقليمي.. وما تجربة هتلر ولا صدام ولا القذافي ولا موسوليني ببعيدة، فهل تكون إيران استثناء ؟ وهل هناك سبيل لتجنب ذات المصير؟

ويمكن الاستمرار في الحديث عن كبرى القوى القادمة في المستقبل بدراسة البرازيل والمكسيك..كما يمكن تطوير السؤال عن مستقبل الغرب في ضوء أزمته الاقتصادية وأمريكا في مديونايتها العملاقة وأزمتها الاقتصادية والتي لها ما بعدها، ويمكن التقدم أكثر للحديث عن سؤال النظام الرأسمالي ومآلاته وتطوراته بعد الأزمة العالمية والتحركات الكونية في مواجهته ومآلاتها. ولكن ذلك سيطيل في موضوع البحث أكثر مما يهدف له هذا الكتاب الوجيز، وأترك للقارئ أن يقوم ببحثه إن شاء.

ملخص الفصل التاسع

بعد الحربين العالميتين برز عملاقان هما روسيا وأمريكا كأسياد عالم ما بعد الحرب وتنافسا على العالم ونتيجة لذلك سنرى عدة أمور:

- إهتماماً بالسباق المعرفي
- الرهان على الاقتصاد
- رهان التحركات والتحركات المضادة
- بروز رايات فكرية جديدة بين الحرية والديمقراطية وبين حقوق العمال والمحرومين
- تفكك الإتحاد السوفييتي إلى خمس جمهوريات
- روسيا تخرج من بين الأنقاض
- ظهور النمور الأسيوية
- الصين تدخل المعادلة

عالم ما بعد أمريكا

الفصل العاشر

نحو نظرية جيوبوليتيكية عربيـــة

إن قلب الأهداف التي يجب أن تسعى إليها المنطقة العربية هو ذات ما تسعى إليه دول العالم ذات الطموح اليوم وهو ما تتميز به دول المركز الكوني في الغرب حتى الآن:

» إقتصاد متوازن زراعي صناعي خدمي.

» حكومات مركزية قوية وبيروقراطية عريقة وقوات مسلحة قادرة.

» مؤسسات اقتصادية كبيرة.

» عوائد ضريبية كبيرة لتمويل المشاريع والخدمات.

» تصنيع للبضائع وليس إنتاجاً للمواد الخام.

» تخصص في المعلومات والتمويل والصناعة الخدمية.

» الأسبقية في مجال التكنولوجيا الجديدة والصناعات الجديدة.

» برجوازية قوية وطبقة عاملة واسعة.

» علاقات استراتيجية متكافئة مع دول التأثير.

» استقلال في قراراتها يحصنها من النفوذ الاجنبي.

ودول الأطراف تتسم بأنها:

» تتصف باختلال الهيكل الاقتصادي.

» حكومات ضعيفة نسبياً.

» مؤسسات ضعيفة نسبياً وعوائد ضرائب لا تدعم البنية التحتية بشكل كاف.

» غالباً ما تكون معتمدة على استخراج و تصدير مواد خام لدول المركز.

» عادة ما تكون ذات بنية تصنيعية ضعيفة.

» مستهدفة باستمرار من قبل الشركات العابرة للجنسيات والمتعددة الجنسيات من دول المركز لاستخدام العمالة الرخيصة فيها.
» فيها برجوازية ضيقة وطبقة فلاحية كبيرة.
» فيها نسبة كبيرة من الفقر والأمية.
» اختلال المساواة الاجتماعية وتحكم طبقة تحتكر الأرض ووسائل الإنتاج والعلاقة بالشركات العابرة للقارات.
» تخضع خضوعاً كبيراً لدول المركز والشركات العابرة للقارات أحيانا لدرجة التضحية بمصالح المجتمعات المحلية ولصالح دول المركز ورفاهيتها.

حين ننظر لمثل هذا المشهد المتقابل بين المطلوب والواقع، نجد أنفسنا ملزمين بالتفكير في مخرج لهذا الواقع. واليوم وقد تم مسح العالم جغرافياً بشكلٍ واسع، يمكننا بشكل أوضح أن نحاول وضع إطارٍ فلسفي لمنظورنا الجيوبوليتيكي للمنطقة العربية. وتواجهنا تحديات متعلقة بتعقيد الموضوع وتشعبه وكثرة تفصيلاته وإرباك الأرقام والإحصائيات وسنوات تدوينها وأوجه قصورها، ولكن هل فعلاً يهمنا ذلك كثيراً في مثل الرؤية الفلسفية للوطن العربي من وجهة نظر جيوبوليتيكية؟ سأقول مجازفاً أن شيئا من المعلومات مهم في مرحلتنا الأولى، وهو كافٍ لرسم الخطوط العريضة للفكرة، وأن التدقيق في التفاصيل يمكن أن يأتي في مرحلة التخطيط الصلب للمشروع الجيوبوليتيكي العربي القادم.
» الفكر والواقع السياسي.
» التصور الجغرافي للمنطقة.
» التصور التاريخي للمنطقة.
» تركيبة العالم المعاصر وتوازنات القوة فيه.
» كيف ينظر الآخر للمنطقة العربية.
» هل نمتلك رؤية بين صناع القرار لوضعنا الجيوبوليتيكي.
» هل هي أحلام أم قضية مصير.
» نحو تموقع جديد في عالم الغد.
» خارطة طريق أوَّليَّة.

عوائــــق الفكــــر

لقد درسنا الجغرافيا في مدارسنا ونتذكر غالبا القليل عنها وتبقى في ذاكرتنا أشياء عالقة عن مواضيع مثل ثروات العالم العربي ومساحته وأحلام خافتة بوحدته، ثم لا شيئ بعد ذلك ... لاشئ ينتقل معنا ويكبر سوى إحساسنا بأنه لا جدوى من تدريس الجغرافيا بكل ما كنا نحفظ فيها من معلومات وما نعانيه لتذكر الأرقام والجهات.

لم يتطور عندنا فكر جغرافي ذو معنى حقيقي إلا مع جمال حمدان المفكر الكبير في روائعه الكبرى مثل: استراتيجية الاستعمار والتحرير(١٩٦٩)، موسوعة شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان ١٩٧٥-١٩٨٤، ثم سنجد فراغا ضخما في جيوبوليتيكا العالم العربي وتصوراتها.

لقد اكتفى العقل العربي بنقل ما هو مكتوب من الآخر عنه، ولم يفكر في صناعة تصوراته عن مصيره الجغرافي، أو مسألة وجوده. هذا الفراغ الضخم ذاته موجود في عقل صاحب القرار العربي، ولك أن تتخيل حجم الضرر الذي يتهدد الوجود العربي بسبب هذا الفراغ المعرفي.

حين وضع هالفورد ماكيندر نظرياته، كان يضع في ذهنه تربية جيل قيادي جديد يقوم بخدمة الإمبراطوية البريطانية والتاج. لقد رأى ماكندر بعقلية عصره الاستعمارية أن الجغرافيا بسكونها لن تخدم الإمبراطورية بل لا بد من تحريكها لوضعها في قلب صناعة القرار في بريطانيا. ومن هنا كانت أسئلته الموضوعية حول صورة العالم. ومن يمكن أن يسيطر عليه؟ ومن يمكن أن يتحدى في المستقبل هيمنة بريطانيا على العالم، وبنظريته رسم الخطوط العريضة لفكرة السيطرة على العالم، وبالتالي أنار طريق صانع القرار لمعرفة المخاطر التي تتهدد المشروع الكوني البريطاني.

ومثله يمكن الحديث عن كارل هاوسهوفر، الذي أنشأ معهدا للجيوبوليتيك، ليرسم لألمانيا تصورا عن كيفية استعادة قوتها، وكيفية النظر لمحيطها، وكيفية التحرك لتحقيق مصالحها في وجه محيطها الإقليمي والعالمي. وهو ما اعتمده الحزب النازي وحوله لرؤية عملية بعدها.

ومثله يمكن الحديث عن ماهان وسبينكس، الأمريكيين اللذين شكلوا المخيال الأمريكي عن العالم وتحولت نظرياتهم لواقع تعمل وفق خطوطه الاستراتيجية الأمريكية العالمية.

كل هؤلاء شكلوا بوصلة لأممهم وفهماً لمستقبلها وتصوراً للمخاطر التي تتهددها، ورغم الهجوم الشرس الذي لقيته الجيوبوليتيك بعد الحرب العالمية الثانية، إلا إنها بقيت أساس التفكير عند صناع القرار في العالم بلغتها ومفرداتها. ولذلك أصبح من أهم الضرورات وضع سياق جيوبوليتيكي للعقل العربي. وأصبح نشر الثقافة الجيوبوليتيكية من أوجب الضرورات في المجتمع العربي وعند صناع القرار.

وبعد ذلك كله لنا أن نتساءل في منطقتنا العربية هل آن الأوان لتحرير إرادتنا والتفكير في وضعنا ككتلة عالمية، بدل هذا التذبذب الذي يطبع الفكر العربي السياسي في هذه اللحظة؟، إن التشرذم السياسي وحالة الانقسام وطغيان المصالح التكتيكية على المصالح الاستراتيجية له أسباب كثيرة، مثل: اختلاف طبيعة النظم السياسية، وغياب الديمقراطيات والتمثيل الشعبي، وعمق الارتباطات بالمشاريع الغربية تاريخيا، واختلاف المصالح الضيقة، وهي مشاكل حقيقية وقفت باستمرار أمام مشاريع الوحدة والتعاون والتنسيق. وهي كلها مشاكل قابلة للحل والحركة، ولن تبقى ساكنة أبد الدهر، وأن تنمية الشعور بالمصير المشترك للأمة العربية يقع في قمة سلم الأولويات، لكل أحلام التقدم والنهضة في المنطقة العربية. ولكن ذلك لا يتم بمجرد الخطابة العاطفية، بل يحتاج لإطار فلسفي عميق يحوله لمستقرات فكرية كبرى تنشئ بعدها عالمها الجديد.

فليس المهم وجود شعور غامض بالحاجة، بل يجب العمل على وضع ذلك الشعور على منصة التشريح، وإعطاء ذلك الشعور الغامض لغة ومعنى وحيوية جديدة تجعله لغة تواصل، ثم لغة تنسيق وتوجيه.

بعض حقائق الجغرافيا عندنا

التصور الجغرافي للمنطقة

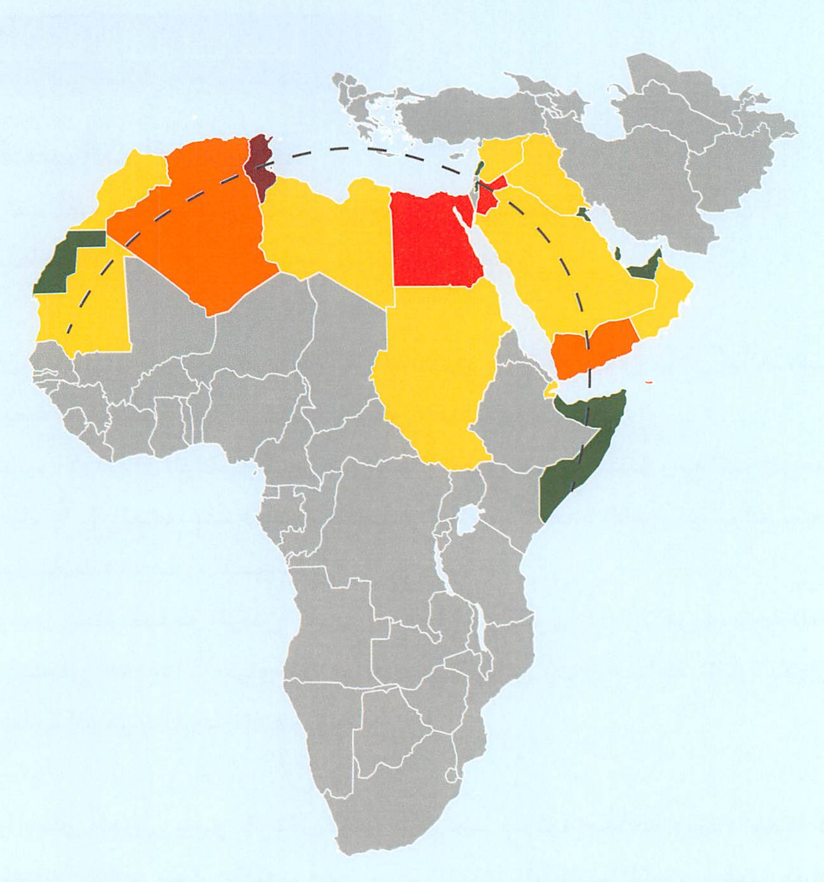
لقد أفردنا فصلا كاملا عن التصور الجغرافي للعالم، وحان الأوان أن ننظر للمنطقة العربية ومحيطها الحيوي ببعض التدقيق.

إن العصر لم يعد يعترف بالكيانات الصغيرة، بل يتحرك من خلال كيانات كبرى طبيعية أو مُختلفة. فما هو نصيب الوطن العربي من ذلك ؟

تشير الأرقام أن الوطن العربي من حيث التعداد السكاني يشكل رابع أكبر الوحدات السياسية في العالم، بعد الصين والهند والولايات المتحدة الأمريكية برقم يتجاوز بقليل ثلاث مئة مليون نسمة.

وحين ننظر لمساحة الوطن العربي نجدها تبلغ تقريبا ١٠,٢٪ من مساحة العالم بما يتجاوز ١٤١٥٨٨٤٨ كيلومتر مربع، وهو بالتالي يفوق مساحة القارة الأوربية ومساحة الولايات المتحدة الامريكية.

والوطن العربي يبدو في شكل قوس يرق عند طرفيه مساحة ويزداد سمكا عند منتصفه يقطعه سهم متعامد معه، حيث الكثافة السكانية الكبرى. فعلى ضفاف الأطلسي نشاهد موريتانيا، وعلى ضفاف الخليج توجد منظومة مجلس التعاون الخليجي وهم طرفا القوس في حين تحاذي البحر الأبيض المتوسط الجزائر وليبيا ومصر وفلسطين ولبنان وسوريا مكتملا بالعراق والأردن ليتصل بالخليج العربي. أما السهم الذي يتعامد معه فهو مشكل من عمق إفريقي مكون من مصر والسودان وجيبوتي والصومال.



حين ننظر للموقع العربي نجده:

- واقع في الجزيرة العالمية الكبرى التي هي محط ثروات العالم.
- وفي موقع متميز بالنسبة لـ:

أ: البحر الابيض المتوسط.

ب: البحر الاحمر.

ج: الخليج العربي.

د: بحر العرب.

- يطل على المحيطين الأطلسي والهادي على قدم سواء.
- يصل آسيا بإفريقيا.

كل هذا يجعل موطن السفينة والجمل، يتمتع بقابلية الحركة على الأرض أو في البحار، وقابلية التواصل مع البقع الاقتصادية الأهم في العالم كأسواق وكمستقبل. وهي من زاوية أخرى تطل على أهم الممرات العالمية المعاصرة: جبل طارق وباب المندب ومضيق هرمز وقناة السويس. وهو في ذات الوقت الجسر الذي يربط اليابس الأوروبي بآسيا وإفريقيا.



وفي حين كانت الصحراء عبئاً على المشروع العربي قبل إكتشاف النفط والمعادن، أصبحت الصحراء اليوم تشكل فرصاً كبرى كعمق استراتيجي وكخزان موارد. والناظر للوطن العربي يجد نفسه أمام قلب صحراوي تحيط به اربع حلقات بشرية: حلقة شمال افريقيا وفيها ٢٨٪ من البشر، وحلقة وادي النيل وفيها ٣٧٪ من البشر، وحلقة العراق وبلاد الشام وفيها ١٧٪ من البشر، وحلقة الجزيرة العربية وفيها ١٨٪ من البشر.

والوطن العربي هو خزان الطاقة للعالم المعتمد على النفط والغاز اللذين هما عنوان هذا العصر. وتكمن أهمية النفط ليس فقط من كونه مصدراً للطاقة بل هو المادة الخام الأساسية لشتى فروع الصناعات الكيماوية والبتروكيماوية، ويدخل في ذلك صناعة الشحوم للتزييت، وصناعات الأدوية والمنظفات الصناعية ومواد التجميل والورق والمطاط الصناعي، والمبيدات الحشرية والأسمدة والمفرقعات.

والمنطقة العربية تحتوي على أربعة أحواض كبرى للنفط، أولها حوض شمال العراق وتعادل مساحته ١٥٪ من مساحة العراق، ويشكل ٦٪ من إجمالي النفط العربي. وثانيها حوض الخليج العربي وتمثله حقول المنظومة الخليجية كاملة، ويشكل ٦٥٪ من أجمالي النفط العربي. والثالث حوض سيناء وخليج السويس، ورغم أن مساهمته في إجمالي النفط العربي قليلة، إلا أنه محل التطلعات الإسرائيلية. ثم يأتي حوض الشمال الأوسط الإفريقي. وقد بلغت إحتياطيات النفط في الوطن العربي (سنة ٢٠٠٣) ٥٩,٣٪ من الاحتياطي العالمي، مع ملاحظة أن الكثير من أراضي الوطن العربي لم تمسح بعد. وتبلغ إمكانيات الغاز في الوطن العربي ما يعادل ٣٠,٥٪ من إجمالي الغاز المكتشف في العالم حسب تقديرات (سنة ٢٠٠٣). والعالم اليوم يتكلم عن الطاقة الشمسية، وفي حال تطور تكنولوجيا الطاقة الشمسية سيكون الوطن العربي من أغنى مناطق العالم بها.

والمنطقة العربية غنية بالمعادن كالحديد والفوسفات والكبريت والنحاس والرصاص والأملاح، ومع ذلك فالصناعة العربية ما زالت صناعات استخراجية في المجمل، ولم تنتقل بعد إلى الصناعات التحويلية، فبمقياس استخدام النحاس مثلا، نجد أن في مجمل الدول الصناعية هناك ٦,٣ كيلوغرام للفرد سنويا، وفي الدول الغربية تصل النسبة ٧,٧ كيلوغرام للفرد. وفي الدول العربية تصل النسبة إلى ٠,١٧ كيلوغرام للفرد وهي نسبة منخفضة جداً تعكس الحالة الصناعية للمنطقة.

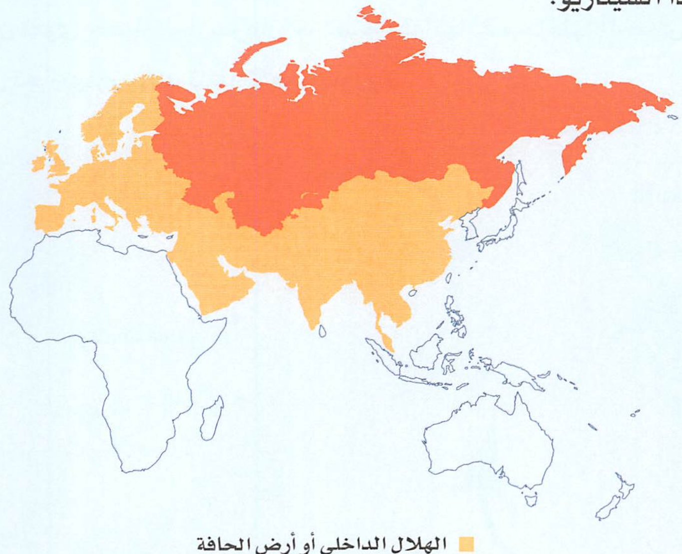
ونصيب الفرد متدنٍ من الكهرباء في الوطن العربي فهذا الوطن يشكل ٥٪ من سكان العالم وهو ينتج ٢٪ من الكهرباء العالمية.

المستغل من الأراضي الزراعية ٦٨,٥مليون هكتار، وهي تمثل ثلث الأراضي الصالحة للزراعة في الوطن العربي (٢٠٠٢). أما الثلثين الآخرين فهما غير مستغلين.

ففي الوطن العربي هناك المساحة والعمق الاستراتيجي، وهناك الكتلة البشرية، وهناك الطاقة، وهناك الأرض الزراعية، وهناك الممرات الحيوية. بقي أن نعالج نقاط الضعف وبناء التصور.. ولنبدأ من أسرار التاريخ والجغرافيا.

بوصلة التاريخ

ولفهم دور موقع الوطن العربي سنقدم تحليل نيكولاس سبيكمان وهو واضع تصورات الولايات المتحدة الجيوبوليتيكية. يقدم سبيكمان أولاً فكرة عن أهمية أرض الحافة ويعني بها المناطق البرية والبحرية وتشمل شبه الجزيرة العربية، والعراق وإيران وأفغانستان والهند وجنوب شرق آسيا والصين وكوريا وشرقي سيبريا. وهو يقدمها لسبب مهم يراه أن هذه المناطق شهدت في تاريخها قيام دول قوية غزت الغرب وتوغلت في وسط وجنوب أوربا. ويقدم نموذجين أولهما الفتوح الإسلامية التي وصلت إلى تولوز على حدود فرنسا غربا، وحولت البحر الأبيض المتوسط إلى بحيرة عربية. والنموذج الثاني هو الدولة العثمانية التي وصلت لشرق ووسط أوربا وبالتالي يدعو لتجنب مثل هذا السيناريو.



قلب الأرض

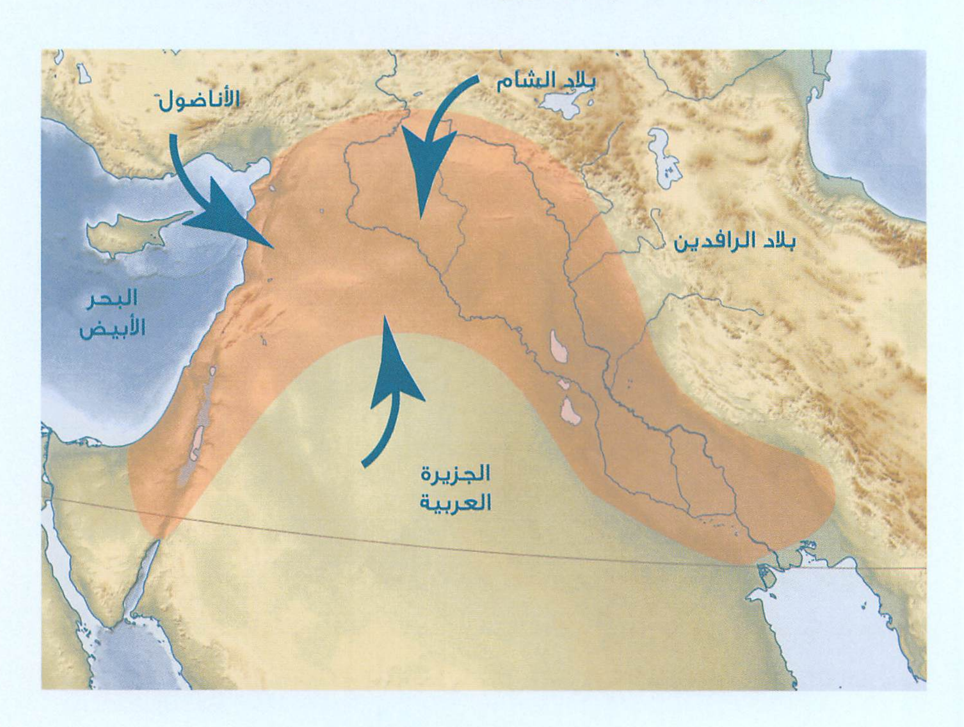
الهلال الداخلي أو أرض الحافة

فهو حين يستعرض أرض الحافة كما يراها، يرى أمثلة لقوة تنطلق من العالم العربي أو من تركيا، ولكن الحديث عن أرض الحافة أوسع بكثير مما يبدو في مقولة سبيكمان السابقة.. إنه متعلق بالسيطرة على الجزيرة العالمية، ومن ثم العالم وهو

الموضوع المتعلق بأرض الحافة والذي يطرح علينا سؤال الموقع العربي وترجمته الجيوبوليتيكية.

إن فهمنا للمنظور الجيوبوليتيكي للمنطقة العربية يقودنا مباشرة لحركة القوى المحيطة بالوطن العربي وعلاقتها بالمنطقة. ويمكن أن نبدأ من المشهد الذي سبق ظهور الإسلام لنرى المسرح العام وحركة القوى في هذه المنطقة، ولنتعرف على المضمون الجيوبوليتيكي لحركة المشروع العربي مع الفتح الاسلامي. وسنبدأ في علاقة الارض بالإنسان.

مناطق الطرد أو الجدب ومناطق الجذب وأنهار التصريف، تلك معادلة الحركة التاريخية المبكرة في المنطقة. فصحراء الجزيرة العربية وجبال إيران والأناضول أو آسيا الصغرى، شكلت مناطق الطرد في اتجاه بلاد ما بين النهرين، أو العراق والشام. وحين تقوى حضارة ما، سرعان ما تتدفق قواتها في محيطها الحيوي للسيطرة على طرق تجارتها، وبذلك تنشأ الإمبراطوريات.



شكلت الموجات الأولى من سكان الجزيرة العربية أول الواصلين إلى تلك المناطق الخصبة. وسنسمع عن الأكاديين والآشوريين والعموريين والبابليين ثم الآراميين ثم المناذرة ثم الغساسنة.. ها هي الجزيرة أو منطقة الجدب تدفع بموجات بشرية لمناطق الجذب والخصب.

ومن جبال إيران سينزل الكاشيون وبعدهم الميديون لينشئوا الدولة الاخمينية.

ومن آسيا الصغرى سيأتي الأتراك الحثيون ليقيموا في المنطقة دولتهم، وهم من خاض مع المصريين معركة قادش ثم عقدوا السلام معهم.

ثم من جزر البحر الكبير (الأبيض المتوسط) سيصل الإسكندر الأكبر من اليونان لينهي حكم الاخمينيين عام ٣٣٠ قبل الميلاد.



منطقة لقاء الرمال بالهضاب بالجزر:

لننظر إلى منطقة القلب الجغرافي الأول؛ بلاد العراق والشام والتي تشكل نقطة التقاء المحيط الذي بدأ بالتشكل بوصول قبائل الجزيرة العربية إليها، وعلى هذا النسيج أضيفت أنسجة أخرى من الفرس الترك اليونانيين وثم ذلك الإرتباط الوثيق بمصر.

ها هي الجغرافيا سترسم أهم خطوط المستقبل والتي تتحدد بطبيعة العلاقة بين هذه القوى المتجاورة منذ فجر البشرية.

طرق التجارة:

لنبتعد عن المنطقة العربية المباشرة والخطوط القريبة التي تلتقي بها، ولنركز النظر على منطقة التنين الصيني، ومنطقة الهند حيث سنجد أنفسنا أمام بلاد حضارية فيها أهم مفردات عصرهم: الحرير والتوابل والصناعات الخزفية. وبين منطقة الحضارات الأولى ومناطق التوابل والحرير، ستمتد خطوط التواصل عبر سفينة الماء وسفينة الصحراء.. إنه الاقتصاد يعلن عن نفسه.

خارطة طريق الحرير

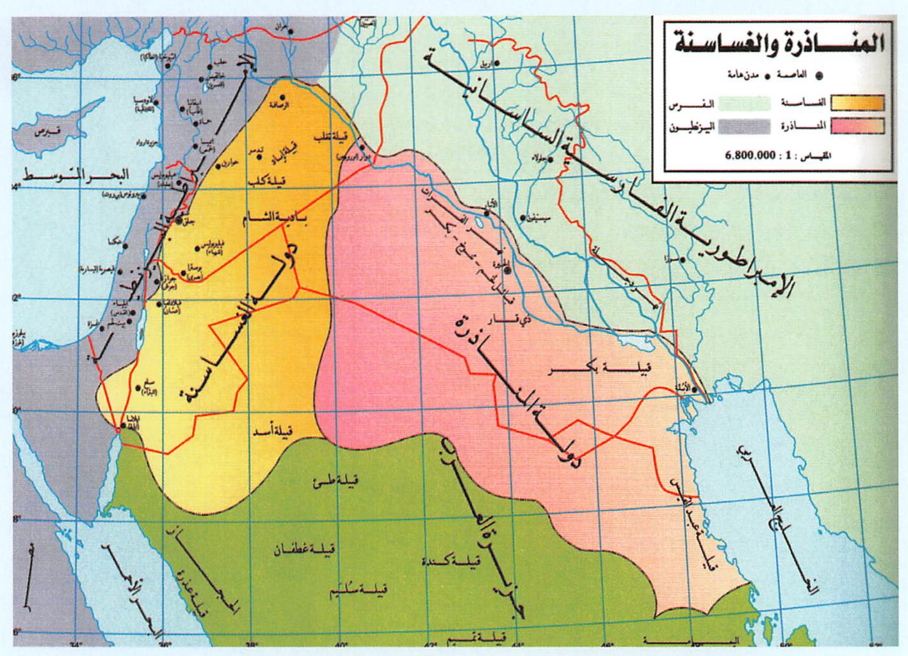


طريق الحرير

طرق التجارة الأخرى

وها هو التشابك بين الإنسان واحتياجاته ورغباته التي هي روح الاقتصاد، وبين الجغرافيا والمكان تمد يدها لتصنع خطا آخر مهماً، وهو خط التواصل مع الكتل الآسيوية الكبرى الهند والصين.

حين نمد الخط التاريخي قليلا إلى الأمام سنجد الدولة الرومانية تمد رواقها حول البحر الأبيض المتوسط وتتوغل في الشام، وتقابلها في المشهد الممتد من الشرق الإيراني الإمبراطورية الساسانية. وهنا ستلعب القوة العربية في منطقة القلب دور الدول الوظيفية لصالح اللاعبين الكبار، وستولد الدولة العازل كما كان الحال بالنسبة للمناذرة والغساسنة.



مصدر الخارطة: أطلس تاريخ العرب والعالم - ص ٣٩ - د. سيف الدين الكاتب - دار الشرق العربية - الإصدار الثالث

فعندما تضعف القوة العربية في المنطقة، يمتد نفوذ الشرق والغرب وتصبح أدوار الدول الداخلة في القلب كمناطق ارتكاز للمشروعين الشرقي والغربي.

تراكم المشهد قبل ظهور الإسلام، فمن الجنوب تآكلت ممالك اليمن: معين وسبأ وحمير التي كانت تحكم اليمن - بلد السدود والزراعة وملتقى التجارة القديمة والسوق العالمي يومها - وستكون بعدهم اليمن تحت عناوين حبشية أو فارسية. ومن الشمال حيث نشأت ممالك الأنبار في بلاد الشام التي ورثتنا الحرف العربي وكانت خليطاً عربياً، سامي الديانة، روماني الطراز المعماري. وفي أواخر عمر هذه الممالك ظهر المسيح، وستظهر بعدها مملكة تدمر في القرنين الأول والثاني الميلاديين.

تشكل النخبة العربية

وعلى أنقاض المشهد ستولد الدولتان العازلتان:

» المناذرة.

» الغساسنة.

هكذا كان المشهد على أطراف الجزيرة العربية وقبائلها؛ فالجزيرة العربية كانت مهداً لفرعين كبيرين رفدا مكونها السكاني.

» فالرافد القحطاني القادم من الجنوب، بلاد اليمن ستأتي منه ملوك اليمن سبأ وحمير، ثم المناذرة والغسانة ملوك كنده و الأزد الذين سيأتي منهما الأوس والخزرج وهم سيشكلون كتيبة المشروع الجديد القادم.

» أما الرافد الثاني فهم العدنانيون وهم نتاج زواج إسماعيل بن إبراهيم من قبيلة جرهم والتي جاء منها عدنان، ومنه جاء معد وبعده نزار، الذي سيخرج منها الفرعان ربيعة ومضر، التي منها جاء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن هذين الفرعين ستتولد خميرة النخبة العربية الجديدة أو الموجة الحضارية القادمة.

أهمية الفكرة:

نقطة انطلاق تلك التي ولدت في مكة.. دين، رسالة أو فكرة، وشعور جديد.. ذلك ما تحتاجه حركة أي بعث جديد. في مكة ولدت الفكرة وذلك الشعور الجديد لكن مكة لم تكن حاضنة للفكرة فإنتقلت لحاضنة المدينة أو منطقة الإرتكاز المبكر. وفي حاضنة المدينة تكاتفت النخبة الأزدية من الأوس والخزرج، مع خلاصة النخبة العدنانية التي ولدت في مكة. ثم تبدأ رحلة المشروع.. فمن الضعف الاستراتيجي وحصار النشأة، إلى نقطة التعادل الاستراتيجي في الحديبية، إلى انقلاب الميزان الاستراتيجي لصالح المشروع الجديد، وفتح مكة والطائف، أو مرحلة الإعلان الكامل عن الوجود في المحيط المباشر.

الاتجاه للشام والعراق:

الاتجاه للقلب.. منطقة الشام والعراق وجناحاهما فارس ومصر، كان الوضع الطبيعي لحركة المشروع.. فهي منطقة التصريف لحركة الجزيرة تاريخيا، ثم تطويق البحار التي تشكل البحيرات الداخلية للمنطقة، ثم الإمتداد لتأمين الطرق من الجزيرة للهند والصين، أو طريق سفينة الماء وسفينة الصحراء.



هكذا ولأول مرة في تاريخ المنطقة، بعد إمبراطورياتها الأولى والتي بدأت بالأكاديين ومن بعدهم، يستعيد العرب أو حملة الفكرة الجديدة حرية المنطقة ويغلقون الباب على قوى المرتفعات القادمة من جبال إيران أو مصر، أو هضبة الأناضول، عبر استيعاب كل هذه الأمم في مشروع واحد وتحت عنوان واحد هو الإسلام، ويسدون الباب أمام قوى ما وراء البحار القادمة من أوربا.

هكذا تفصح الجغرافيا عن أسرارها (البشر والمكان والتاريخ). إنه مثلث العرب والفرس والترك أو نسيج المنطقة التاريخي، حين يجد معادلة التعاون والتنسيق تكتسب المنطقة حصانتها في وجه قوى ما وراء البحار. وحين لا يجد معادلته الصحيحة، ينقلب على ذاته ويدمرها، ثم يخضع للقادمين من وراء البحار، كما حدث مع الصليبيين.. أو من ما وراء المجال في الغزو المغولي الأكبر.

وفي هذا المنظور الجيوبوليتيكي ليس هناك خلاص فردي للمنطقة أو أحد مكوناتها الثلاثة دون بقية الأطراف. ولكن لماذا نصل لمثل هذا الإستنتاج؟

التصور الغربي للمنطقة حسب الأطروحة التاريخية من أيام ماكندر إلى جبوتنسكي، تقوم على أن العالم الغربي ومصالحه مهدد بقوة تظهر في العالم القديم، أو الجزيرة العالمية، بإصطلاح ماكندر أو أوربا وآسيا وافريقيا.. الفصوص الملتحمة التي تتركز فيها موارد العالم، وتهيمن من داخل هذه المنطقة على محيطها الجغرافي. وفي حين طرح ماكندر فكرة القلب الروسي كقوة البر المحتملة، وبالتالي جعل التمركز في هذه المنطقة هو الأهم، رأت الجيوبوليتيكا الأمريكية أن المنطقة المهمة هي الهلال الداخلي الذي يحيط بالقلب، مما جعل المنطقة العربية جزءاً من هذا المنظور ومعها كل الدول المحيطة بروسيا.

تركيبة العالم المعاصر وتوازنات القوة فيه ورؤية الآخر للمنطقة

لا زال ميزان القوة راجحا لصالح الغرب الأوربي في المعادلة العالمية، وبالتالي فإن اعتبار مصالح هذه الكتلة السياسية عند تركيب الخطاب السياسي والتحركات الاستراتيجية، قضية في غاية الأهمية لصانع القرار. وبقدر إدراكه ووعيه بالمصالح الاستراتيجية لهذه القوى ورعايتها في سياساته وخطابه، يكون الإبحار أسهل في عالم اليوم.

وميزان القوة وإن مال للغرب الأوربي فإن حركة الميزان ليست في صالح أوربا.. فالتوازنات العالمية في حالة تغير، وبالتالي فمراعاة القوى الصاعدة وإحسان التمركز في مصالحها وتنظيم العلاقة معها، سيكون من أهم القضايا الاستراتيجية التي تطرح نفسها على المشروع العربي.

هل نمتلك رؤية عند متخذ القرار العربي لوضعنا الجيوبوليتيكي؟

لا توجد كتابات محددة تبين وجود أو انعدام الرؤية عند صانع القرار العربي لكن من مجمل التحركات يمكن تقدير مشهد ضبابية الرؤية لمشروع متكامل، أو الشعور بالعجز عن تحويله لمشروع عملي، في ضوء الخبرة العربية المتراكمة في الجامعة العربية ومشاريعها.

بين الأحلام وصناعة المصير

البعض ينظر لمثل هذه الأطروحات باعتبارها جزء من الترف العقلي، في عالم الواقع ستصدم بإشكالات لا حصر لها في النظام العربي. والبعض الآخر يرى أنها مسألة مصير.. فأوطاننا العربية مهددة في أمنها القومي ومستقبل أجيالها بسبب هذا العجز، والاعتراف بأن الواقع صعب هو ما يدعو لطرح مثل هذه الأفكار..فالخروج من المأزق التاريخي هو ابن الفكرة والإرادة والعمل والصبر والمراجعة المستمرة، وهو ما يحتاجه صانع القرار العربي اليوم.

نحو تموقع جديد في عالم الغد

حين تفكر الكتل الإقليمية «إيران وتركيا»، للتمركز في عالم الغد، وتفكر في ذلك دويلة صغيرة مثل: «اسرائيل» بملايينها الخمسة.. وحين تفكر في الأمر نفسه دول العالم كلها فمن المعيب أن نعجز نحن عن ذلك.. إن المستقبل هو ابن الأحلام الكبيرة والأحلام الكبيرة هي بنت الإرادات التي تؤمن بها وتشق لها المسار.

نحو خارطة طريق أولية

- الرؤية.
- المهمة.
- التحديات.
- الأهداف الكبرى والمرحلية.
- السياسات.
- الحركة والتنفيذ.
- آليات التقويم.

الرؤيـــة كنقطـــة بدايـــة

لنفرض جدلا أنّ رؤية صانع القرار العربي في دولة قُطْرِيَة تنطبق مع ما ذكرناه من مقررات الجغرافيا، ولغتها الجيوبوليتيكية، والتي تمزج لغة التاريخ بلغة الجغرافيا، لتقرر شيئاً عن ضمير المكان بالنسبة لساكنيه وتطلعاتهم وأحلامهم.. ولنسمي هذه الرؤية بالمشروع العربي الجيوبوليتيكي الذي يقوم على فكرة جوهرية هي:

إستعادة المنطقة العربية والمشكَّلة من القلب والجناحان والبقية لاستقلالها، وترتيب العلاقات مع أضلاع المثلث الاستراتيجي، أي مع إيران وتركيا، لتشكيل كيان جيوبوليتيكي قادر على مواجهة ضغوط القوى الكبرى واستئثارها بالقرار في المنطقة.

المهمـــة:

إن المسار لبناء المنظومة العربية لا يمكن إلا أن يمر بمراحل، وهو حين يبدأ من دولة قُطْرِيَة فأول ما يلزم عمله هو بناء النموذج الذاتي القطري للحلم العربي.. فوجود النموذج الآسر ضروري لبدأ عملية شحن المخزون العاطفي والعقلي والروحي لبقية المنظومة العربية. هذا النموذج الذي يحقق معادلة الدولة المعاصرة والتي تتمتع بأربع مواصفات:

- الشعور الجمعي بالهوية الذاتية وبالإمكان الحضاري (روح دافعة لقبول التحدي الحضاري).
- العلاقة الصحيحة بالعلم إنتاجا وبحثا وتشبيكا مع آليات السوق واحتياجات الأمن القومي.
- سلامة النظم وكفاءتها وقدرتها على مواكبة العصر وتحقيق مبادئ العدل والمساواة والكرامة الإنسانية والشفافية.
- الاتجاه الجاد لتحقيق المنعة الذاتية للوطن.

إن بقية الخطوات في عملية الاحتشاد العربي حول مشروع عربي موحد للخروج من المأزق الحالي سيصبح أسهل بعدها.

التحديـات

هذا المنظور اليوم في المنطقة العربية يواجه عدة معضلات أو تحديات أمام صانع القرار العربي:

إن أول المعضلات تكمن في معادلة الوعي بالحاجة للمشروع والإرادة ورؤية المسار، والسير فيه والثبات في وجه التحديات.. وهي كلها قضايا تقف عقبة في الطريق.

» الوعي: لا ينتشر بين النخب بشكل واضح منظور جيوبوليتيكي للمنطقة العربية ويكاد يكون الشعور العام مشبعاً بتصورات منخفضة عن الذات تجاه الآخر الإقليمي والعالمي.

» الإرادة: الإرادة هي شعور نامٍ بقدرات الذات في مقابل الهدف المنشود.

» رؤية المسار: التصور الواضح للمسار بين الواقع والمأمول شرط أساس في التخطيط.

» تحدي السير في المسار: إن اختيار وضع الخطط والتحرك فيها قرار يحتاج لشجاعة عالية وحشد للطاقات وهو الاختبار الحقيقي لموضوع الإرادة..

» تحدي الثبات على الطريق: طريق تحقيق مشروع طموح، طريق صعب يحتاج لإرادة وسياسات وقدرة على فن المناورة حتى يتم إنجازه.

ولنا ان نتصور أن صانع القرار في المنطقة العربية عليه ان يتحقق بكل هذه الملكات وهي ليست يسيره في ظل الواقع القائم.

ولكن على افتراض أن المشروع حين يبدأ من واقع قُطْر معين - دولة المنشأ - حيث تولد الفكرة، وقد تكون هي منطقة ارتكاز المشروع، أو أن المشروع يتحرك بعدها لحاضنة جديدة تشكل منطقة ارتكاز.. لأن دولة الارتكاز هي دولة قادرة على توفير الرعاية للمشروع الجيوبوليتيكي. عندها علينا أن نتوقف أمام أهم التحديات التي تواجه مثل هذا المشروع. وسنقسمها لأربعة تحديات كبرى:

» تحدي الحامل المباشر للمشروع أي القيادة أكانت فرداً، أم حزباً، أم جماعةً، وإمكاناته

البشرية والمالية والفكرية.

- تحدي المحيط المحلي بتكويناته وإشكالياته.
- تحدي المحيط الإقليمي بتعقيداته.
- تحدي المحيط العالمي.

تحدي الحامل المباشر للمشروع

في نظرة واحدة لنوعية القيادات التي أطلقت هذا النوع من المشاريع، سنجد عامل الفكر وعامل الطموح وقدراً من المثالية، تلعب أدواراً مهمة في نجاح إطلاق المشروع. فمن دون الفكر الاستراتيجي، يصعب تصور تبني مثل هذا المشروع، ومن دون وجود طموح كبير لدى القيادة لا يمكن اتخاذ قرار من هذا النوع.

إن القيادات التي تعمل في الدولة القُطْرِيَة تواجه تحديات متعلقة بجوهر الاحتياجات في الدولة المعاصرة، وهي ضرورات الوجود والاستقرار والتنمية. والدولة القُطْرِيَة العربية اليوم نجد فيها مجموعة تحديات كبرى.

تحدي المخيال السياسي

حين ننظر لتبلور التاريخ العربي عبر مساره الطويل في الممارسة العملية، نجده محصوراً في النظم الإطلاقية في الأغلبية الساحقة من تاريخه. والمخيال العربي الديني توقف عند فكرة ولاية المتغلب لقرون طويلة، وأسس لها مفردات وسيجها بنصوص دينية في الجانب السني. وفي الجانب الشيعي أسس لفكرة كبير الاسرة، أو آل البيت وفكرة إرث محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ومفردتا التغلب، وكبير الاسرة، تنتميان لفكرة الإرث ومنظومته، وكلتاهما تطبعان واقعنا السياسي اليوم. ولعقود طويلة لم ينتج عندنا مسار فلسفي يعمق من فكرة حق الأمة فالحقوق كلها للسلطان وأمر محاسبة السلطان بيد الرحمن، فليس عليه رقابة في الدنيا، وإن كانت فلتكن في شكلها الصوري الفردي.. كما لم نضع تصورا معمقا لحقوق الإنسان، أو مفهوم الكرامة الإنسانية الوجودية، أو لمفهوم الشورى وضرورته الوجودية للمجتمعات.

وقس على ذلك فكرة المواطنة المتساوية حيث لم تعرف عبر تاريخنا الطويل لا للمسلمين ولا لغير المسلمين.. فيكفي مجرد قبول العيش وتصريف الشئون الدنيا من الحياة للمسلمين، ناهيك عن غير المسلمين.. واستعضنا عن فكرة سلامة النظم ونقاشها بفكرة صلاح الحاكم، وبعض ومضات النور أو قصة من قصص الاحسان في عصره لتقويمه. وما زالت تلك النقائص تلف نقاشاتنا في العمق.

والخيال السياسي مأزوم بطوباوية التعامل مع الخارج، بين شخص يرى أنه لا يستطيع أن يفعل حياله شيئاً، وعليه ان يستسلم له.. وبين شخص ايديولوجي لا يقيم وزنا لتوازنات القوة ويقفز للمجهول.

وكلما أسرعنا بتجاوز هذه النقاشات العقيمة التي تسير عكس حركة التاريخ وقلنا: نعم.. قاطعة.. لحق الأمة ولحق الإنسان وكرامته الوجودية لكونه إنسانا، وللشورى الحقيقية وللمواطنة المتساوية المتجاوزة للعرق والدين وبقية التصنيفات، ولسلامة النظم وشفافيتها، كلما سرّعنا من إيجاد نواة المشروع الجيوبوليتيكي الأكبر.

تحدي النظام السياسي

تعاني النخب السياسية المتمكنة من فقدان الرؤية لاتجاه العصر ومتطلباته، وهي تعيش أسيرة مصالحها الخاصة وعلاقاتها الضيقة وارتباطاتها الرأسمالية.



وطريقة تكونها ساهمت في تزييف الوعي وكرست التبعية عند أعداد كبيرة منها للاستلاب للآخر، وبالتالي فإن تشكيل دول ديموقراطية تتمتع بمصداقية وشفافية يعد من أكبر التحديات التي تواجه المنطقة.

أما النخب غير المتمكنة فليست أقل اختلالا من ذات النخب القائمة على الأمور في الغالب، حيث هي جزء من تكوينات حزبية إيديولوجية مغلقة تطمع في تجيير مشروع الدولة لخدمة تلك الرؤى الضيقة للوطن، وتحل دولة الحزب الضيقة لتبتلع فكرة الوطن والمواطنة بشتى الذرائع.

فعند وضع الدساتير تبرز إشكاليات مثل علاقة الديني بالدنيوي ومشاكل الأقليات والهويات الخاصة والجهويات والمرأة، وعلاقة العسكري بالمدني وقضية المركزية واللامركزية.. وقضايا قد فرغ العالم منها منذ عقود لا زلنا ندور حولها في حلقة مفرغة.

تحديات النسيج الاجتماعي

والمنطقة العربية تنتشر فيها الأفكار الانقسامية على محاور متعددة مثل: الرجل والمرأة، العرقيات، الدينيات، المذهبيات، الطائفيات، الجهويات، حيث تشكل شروخا عديدة حول تعريف الذات. وتبرز قضايا الانفصال كحل لمثل هذه التحديات. فلو نظرنا لتركيبة الملفات التي يشغلها هذا الحيز، سنجد انقساما طبيعيا فرضه التكوين الوراثي.. وانقسامها جغرافياً فرضته الأرض، وفوقه يأتي تكوين سياسي واقتصادي واجتماعي صنعه الإنسان، وهو أساس الاختلالات الكبرى. فالتكوين السياسي وسيادة عرق أو فرض دين دون اعتبار ما تحتمله طاولة الوطن من اعتبار مخاوف أصحاب الأديان الأخرى، ودون اعتبار لسائر المكونات أو ترتيبات اقتصادية تحابي مناطق أو أعراق أو طبقة اجتماعية، تشعر البعض بالدونية وعدم الاعتراف بالتنوع الطبيعي ومحاولة تجاوزه، والقفز لمطالبة الآخر للانصياع بالقوة بدل التراضي هو أساس هذا النوع من المشاكل. ومع المحطات التاريخية التي استخدمت فيها القوة، تتولد ذاكرة مشحونة بالمواجع تعبر عن نفسها في شكل مرويات تاريخية وأدب وشعر، تطبع من وقعت عليه المظلمة، وبالتالي تكتسب لغة ومفردات تستقر



في الوجدان.. كما تطبع ثقافة المنتصر بمفردات نقيضة استعلائية. ومن اصطدام الذاكرتين تتولد مع الوقت خميرة ناضجة للتفجر.. ومع أول فرصة تاريخية تسنح تكتسب هذه التوترات صوتاً، ثم مع مرور الوقت تكتسب شكلاً تنظيمياً، ثم تكتسب قوة نضالية، ثم تبني شبكة علاقاتها الإقليمية والدولية، ثم تصبح ذراعا للتدخل الدولي و مشاريع التجزئة والتفتيت.

وحلها يعني الاعتراف الصريح بالمظلومية التاريخية، والقيام بمصارحات ومصالحات كبرى وعمليات جراحة واسعة، وبناء دولة المواطنة وإعادة إنشاء الذاكرة التاريخية على أسس جديدة وعادلة. وهو يقتضي إعادة النظر في نظم التنشئة والتوجيه والانتباه لأفخاخ التعصب وعدم التعايش، خاصة في اللغة الدينية أو العنصرية وبالتالي تفريغ حالة الاحتقان من مبرراتها.

تحديات التنمية العادلة

تلعب القضية الاقتصادية دوراً كبيراً في الرخاء والأمن، وتتميز التركيبة الاقتصادية في الوطن العربي في الغالب من طبقة صغيرة تحتكر الأرض ووسائل الإنتاج والعلاقة بالشركات عابرة القارات.. وأغلبية ساحقة من الطبقة الدنيا والطبقة الفقيرة والتي تشكل قاع المجتمع الأكبر. وباستثناء الدول البترولية، فالدول العربية تتكون من أغلبية فلاحية أو شبه فلاحية فقيرة تهجر الأرض الزراعية، وتتجه للمدن بحثا عن فرص العيش، وتتكون العشوائيات حول المدن الكبرى، وبالتالي تتوقف حركة المدينة ويتوقف عطاء الأرض بهجرتها. وتحدي التنمية العادلة يدور مع تحد اكبر وهو تحدي الفقر والجهل والمرض، الذي ينخر في هذه الكتلة البشرية الأكبر. وفي حين كان المأمول أن يكون التعليم حلا لمشكلة الهجرة أصبح جزءاً من مشكلة الهجرة.



وبالتالي تضاءلت فكرة التنمية الشاملة لصالح فكرة المشروع القائد، وهو التركيز على قطاع اقتصادي يعمل كقاطرة لبقية القطاعات، عبر توفير السيولة والقيادات النوعية التي يمكن أن تغذي بقية القطاعات. وبالتالي ولدت فكرة التنمية غير المتوازنه، حيث تتم التنمية في بقية القطاعات بالتدريج، في مقابل تنمية القطاع القائد بشكل أساس، والصرف عليه بحيث تعود الدائرة على بقية القطاعات.

ولا يكفي أن يزيد معدل الدخل القومي بشكل مطرد، بل العبرة بعدالة التوزيع بين الفئات الاجتماعية الأربعة. بحيث يشعر بالعائد كل المجتمع: الفقير الذي لا يجد ما يسد به احتياجاته الشهرية، والعامل الذي يجد ما يسد به احتياجاته الشهرية، مع عدم وجود أي وفورات لأوقات الأزمات، والمتوسط الذي يجد ما يسد به حاجته وبعض الوفورات لأوقات الأزمات، والغني الذي يجد أكثر مما يحتاجه أضعافاً مضاعفة.. كلهم يحتاج أن يجد نفسه في دائرة الاهتمام، كما أن الجهات المختلفة من الدولة يجب أن تستشعر العدالة في التوزيع كي تضمن الولاء للمركز.

هي إذن معادلة نمو الإنتاج القومي، وحسن توزيعه بين الطبقات والفئات الاجتماعية والأقاليم والأمصار.

التحدي المعرفي والتقني

تعاني المنطقة العربية من علاقة مشوشة بالعلم والمعرفة، وخلل بنيوي في تصور علاقة المعرفة بالإنتاج والاقتصاد. ففي معظم الدول العربية تم استحضار النظام المعرفي الغربي للتخلص من الأمية وإعداد موظفين إداريين لتسيير الدول لا لإنشاء نهضة ومجتمعات متقدمة.

فالمدرسة التي ولدت في الغرب نتيجة حاجة حضارية واقتصادية وفي ظل التنافس الغربي على تسويد المجال الصناعي وبناء العظمة القومية، لها روح في العلاقة بالعلم. فهو بالنسبة لها ليس سلعة استهلاكية للحصول على الشهادات، بل له قيمة

إنتاجية في سياق المشروع الوطني والقومي.. بمعنى أنه يقيم بدرجة كفاءته في إنتاج الباحثين والمبدعين والمخترعين، وهو مرتبط بسوق العمل سواء بالقطاع الحكومي أو القطاع الأهلي. فالبحوث الجامعية تمول من قبل الحكومة، وفق احتياجاتها ووفق احتياجات الشركات التي تنظر لفضاء الربح والخسارة والنمو الاقتصادي وبمعنى آخر المدرسة والجامعة لهما دور وظيفي في إطار الأمن القومي والنمو الاقتصادي.

أما المدرسة التي أحضرناها والجامعة التي أقمناها فهي مناطق لتخريج الموظفين لا ترتبط بأي مشروع أمن قومي واقتصادي، وأفضل نوابغها لا يجدون فضاء إلا في الدول الغربية التي تحتاج لهذا النمط من المنتجات.

«والحل يكمن في ضرورات الأمن القومي وربطه بحلقة المعرفة، وربط السوق والاقتصاد بحلقة العلم والمعرفة، وبالتالي لا تعود عجلة العلم والمعرفة تسير وكأنها ترس يتدحرج في صحراء، بل تكون ترساً في عجلة الدولة وتقدمها».



تحدي الأمـن القومـي

وهو تحدٍ مركب.. فالأمن القومي لأي دولة أصبح مقصوداً به كل ما يهدد النظام، باعتبار أن مهددات النظام هي عين مهددات الدولة ولافارق كبيراً بينهما.. وبالتالي أصبح الموضوع متعلقاً بالقوات القادرة على لجم الداخل أو الشعوب، وليس الأمن الذي يحمي الشعوب.. بينما وظيفة الدول الأساسية هي الحفاظ على رفاه المجتمع الذي تحكمه، وقيمه وأساليب عيشه التي ارتضاها.. فهي تشتبك بشكل مستمر مع ملف الأمن العسكري والاقتصادي والاجتماعي والغذائي والمائي والمعرفي.

وكل الدول العربية تعتمد في أمنها العسكري على الآخر المصنع والمتقدم، وبالتالي فأمنها القومي مرهون بهذا الآخر عسكرياً، وهي حالة انكشاف كبرى تضعف كل الملفات الباقية. ولك أن تعرف أنه منذ حرب الثمانية وأربعين مروراً بستة وخمسين، مروراً بسبعة وستين، مروراً بثلاثة وسبعين، مروراً بألفين وسته، وإنتهاءً بحرب غزة.. أي ما يتجاوز النصف قرن، لم تستطع كل الأنظمة العربية أن تحمي سماءها من العدوان، وضربت قواتها على الأرض ولا زال الخلل قائماً حتى اليوم.

كما أن بعض الدول تعتمد على الآخر بالكامل لحمايتها حيث لا تمتلك مقومات عسكرية بشرية ومعرفية.



إن تحدي الملف العسكري هو تحدٍ وجودي، وهو مرتبط بالضعف في كل الملفات السابقة ولا ينفصل عنها.. ففي غياب المشروع يتم الاكتفاء بشكل الوحدة الوطنية دون جوهرها، وبشكل النظام العادل دون جوهره، وبشكل الاقتصاد دون جوهره، وبشكل التعليم دون جوهره، وبالتالي بشكل الأمن العسكري دون جوهره.

تحدي القضية الفلسطينية

نظرة للتطورات وحضور الغرب:

ملف القضية الفلسطينية من زاوية جيوبوليتيكية يمكن أن يعطي منظوراً آخر لرؤية المشهد. ليست فلسطين هنا هي أرض احتلها اليهود والمطلوب إخراجهم منها !

فلسطين هي بقعة إستراتيجية تم إختيارها بسبب احتياجات جيوبوليتيكية غربية بريطانية تحديداً، ولم يكن بالإمكان قيامها واستمرارها بدون هذا الدعم. نحن قلنا سابقاً أن منطقة القلب الاستراتيجي للأمة -الشام والعراق- تقع باستمرار عند غياب المشروع العربي، لضغط المشروع الإيراني والمشروع الغربي. وهي حقيقة تاريخية لا حالة عاطفية وتتحول دولها في تلك اللحظة لدول تسير لصالح هذين المشروعين.

الغرب ممثلاً في بريطانيا، وفي ضوء فكرة السيطرة على العالم والذي يبدأ من السيطرة على أفروا أوراسيا (إفريقيا وأوربا وآسيا)؛ كان يرى أن الصراع على الشرق الأوسط أساس في السيطرة على الممرات الحيوية، وتأمين أوربا من أي قوة محتملة قادمة من الشرق وخاصة من الشرق العربي. وفي ضوء هاتين الحاجتين:

» الحاجة الإستراتيجية الآنية المتمثلة في استمرار السيطرة على مصر وممرها الحيوي قناة السويس.

» الحاجة الاستراتيجية المبنية على جيوبوليتيكا المنطقة (تاريخ وجغرافيا) والتي تقوم على أن أوربا تم اقتحامها مرتين على يد قوى إسلامية قادمة من هذه المنطقة الحيوية.

سوّق الصهاينة الأوائل لدى بريطانيا مشروعهم القائل بضرورة وجود قوة غربية

متقدمة تلعب دوراً وظيفياً تأمينياً لقناة السويس، وتضمن السيطرة على أحلام مصر والمنطقة بعدها.

ومن هنا وافقت الحكومة البريطانية، وأصدرت وعد بلفور (رسالة بلفور) ١٩١٧/١١/١ بحق اليهود في وطن قومي في فلسطين. وجاء في نص الوعد «إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه إن يضير بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين، ولا الحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلاد الأخرى». ووافق على النص الرئيس الأمريكي ويلسون، وفرنسا، وايطاليا، واليابان، ثم أقره مؤتمر سان ريمون (عام ١٩٢٠) ثم وافقت عليه عصبة الأمم، وشرعن انتداب بريطانيا على فلسطين وترجم الوعد عمليا بصك الانتداب البريطاني على فلسطين، والذي تم بالتشاور بين المنظمة الصهيونية والحكومة البريطانية، وتضمن الخطوات الكفيلة بتنفيذ تصريح بلفور على الأرض.

وفي هذه السياقات الجيوبوليتيكية الكبرى، يمكن فهم التحدي المطروح في فلسطين، باعتباره جزءاً من مشروع غربي تاريخي جيوبوليتيكي يختلف ببعض الخصوصيات لأنه اكتسب بعداً إيديولوجياً دينياً رأى مؤسسوه ومعظمهم ملحدون إنه ضروري لبقائه وصموده وقدرته التجميعية. وله خصوصيته بسبب تمركز الصهاينة في مواقع القرار الغربية،

بل وفي صناعة العقل الأوربي أيضا، لكنه في حقيقته يعبر عن مسار الجيوبوليتيكا التاريخي أكثر من تعبيره عن الخصوصية الصهيونية وتشعباتها.

صراع مع الغرب؟

ماذا يعني التدافع مع الغرب ؟ وما هو جوهر التدافع مع الغرب ؟ إن الصراع مع الغرب له مضامين كثيرة، فهو يعكس تقابلات في الوعي الديني التاريخي.. فالغرب علماني.. هذه حقيقة.. ولكن عند مقابلته بالشرق العربي ينتقل حضارياً للمعادل المسيحي الغربي.

أي أن تصرفه في الصراع في زاوية منه يحمل في طياته لحظات المواجهة التاريخية بين مشروعين رفعا رايات دينية في أحقاب زمنية سابقة، وهي ذاتها ما يستدعى ولو جزئياً عند اتخاذ القرارات الإستراتيجية.

الصراع مع الغرب يعني الفجوة المعرفية والعلمية والتقنية، التي صنعتها التحولات الفكرية والاجتماعية والسياسية والبحثية المعرفية، والتي تشكل فارق القوة بين الشرق العربي والغرب الصناعي اليوم.

الصراع مع الغرب هو الصراع على منظور جيوبوليتيكي للمنطقة يحدد مصيرها بناء على مصالح الغرب.



إسرائيل في هذا السياق هي امتداد للمشروع الغربي، وتعرف نفسها في سياقاته من زاوية، وهي تعرف إمكانية تخليه عنها في اي منعطف تاريخي. فسمة السياسة التغير وفق المصالح، ولو تبين للغرب في اي لحظة تاريخية عدم حاجته لهذا الدور، لما صمدت

بقية المبررات التي تدعوه لدعمها وخاصة إذا أصبحت التكلفة أكبر من العائد.

والمشروع الإسرائيلي يحمل في طياته هذا الخوف ويرتب أوراقه بحسب أعمق مخاوفه، وليس بحسب أحسن لحظاته وردية مع الغرب. أي أنه يقوم بتوفير أسباب بقائه الذاتية من القوة العلمية والبحثية والصناعية والعسكرية، بحيث يستطيع الصمود في وجه الظروف التاريخية.

إن صانع القرار العربي حين يصل لهذه الاستنتاجات يصاب بالكثير من الإحباط بسبب التفوق الغربي ورديفه الإسرائيلي في هذه الجوانب. هو لا ينظر للصورة الكبرى المتعلقة بذاته الحضارية ليستمد منها الطاقة والقدرة، وبالتالي يفتقد أول نقاط الانطلاق الصحيحة.

نقطة الانطلاق لمشروع فلسطين العدل، لا تكمن في فلسطين بقدر ما تكمن في المشروع العربي المتكامل. واستعادة المبادرة الاستراتيجية لن تحدث دون بدايات صحيحة، تبدأ من الوعي ثم الإرادة ثم التخطيط ثم تحديد الأولويات ثم التمركز المتحرك صاعداً في طريق استعادة المنطقة للمشروع العربي الحلم.

البعض يصر على أن هناك طريقاً مختصراً لمشروع فلسطين، ونحن نقول أن مشروع فلسطين لم يكن بسبب نقص الحماس، فلطالما كان تجييش المقاتلين سهلاً لفلسطين.. ولكن كان الأصعب دائماً الاعتراف بالتحدي الحقيقي والكامن في عوامل الضعف العربي، التي تناولنا بعضها سابقاً والتي نلخصها هنا للضرورة:

- تحدي المخيال السياسي وفكرة المشروع العربي.
- تحدي النظام السياسي الفعال.
- تحدي وحدة النسيج الاجتماعي.
- تحدي التنمية العادلة.
- التحدي المعرفي والتقني.
- تحدي الأمن القومي المشترك.
- ومن ثم قرار مواجهة هذه التحديات أولاً.

أيـــن فلسطيـــن ؟

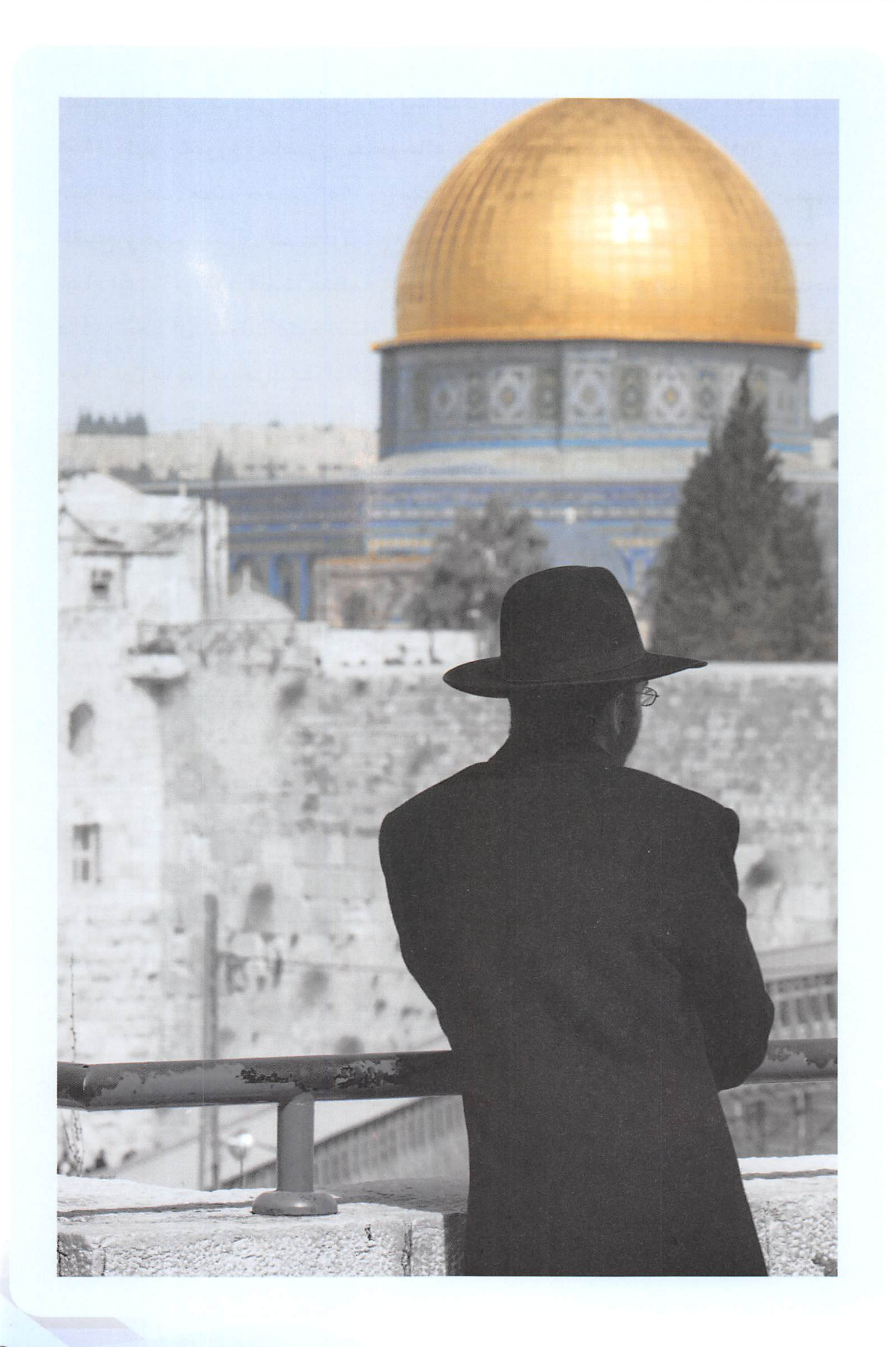
ولنا بعدها أن نسال: أين فلسطين ومشروع التحرر العربي؟ هو بالطبع ليس على الأبواب.. وهل علينا الانتظار حتى يتحقق؟ فإذا صحت مقولة إن مشروع خلاص فلسطين هو ابن مشروع التحرر العربي، فماذا نحن فاعلون حتى ذلك الحين ؟

حين نرسم مدرجاً للخيارات المتاحة أمامنا سنجد أن هناك مشاريع مطروحة حتى الآن.. أولها مشروع التفاوض لإيجاد حل سياسي يؤسس لدولة فلسطين ذات السيادة بجانب دولة إسرائيل. وثانيها مشروع المقاومة المسلحة كحل.

ولنبدأ بالثاني لأنه الأقدم، فقد ولد مع بدايات الوجود اليهودي في فلسطين.. فأول الصدامات المسلحة يمكن إرجاعها للسنوات بين (١٨٨٣-١٩٠١) على أثر طرد الفلاحين من قراهم: الخضيرة وملبس وزمارين وإقامة المستعمرات عليها..



ثم انتفاضة عنيفة (٤-١٩٢٠/٤/٨) بدأت من القدس.. ثم انتفاضة يافا (١٩٢١/٥/١).. ثم ثورة البراق ١٩٢٩/٨/٢٣. ورغم كل ذلك دخل فلسطين بين ١٩٣٢-١٩٣٨. ما يقرب من ٢١٧٠٠٠ مهاجر يهودي، وزاد عدد المستعمرات بنحو ٧٥ مستعمرة.. ثم تلتها تظاهرات ١٩٣٣، التي وجهت جهودها نحو الراعي الإنجليزي للمشروع الاستيطاني اليهودي.. ثم ظهرت حركة الشيخ القسام الذي لجأ إلى حيفا سنة ١٩٢١ وعمل مدرساً ثم رئيساً لجمعية الشبان المسلمين، والذي بدأ بالدعوة للجهاد والعمل المسلح ضد الإنجليز. واستشهد القسام ١٩٣٥ في معركة بأحراج يعبد قرب جنين.. مهدت الأحداث للثورة الكبرى (١٩٣٦).. ١٩٣٧ تجددت الثورة.. ١٩٣٨ ظهرت مشاريع التقسيم (أ-ب-ج).. وظهر الكتاب الأبيض ١٩٣٩، وفيه بعض الاعتراف بالحق العربي فرفضه العرب وثار عليه اليهود.. ١٩٣٩ نقل اليهود مركز ثقلهم لأمريكا القوة القادمة وركزوا أنفسهم في وسائط التأثير في الرأي العام والكونغرس (شيوخ ونواب)، وكونوا اللجنة الأمريكية لفلسطين (٢٧ شيخا و١٤٣ نائباً) لتولد منها وثيقة إنشاء الجيش اليهودي ليحارب مع الحلفاء (ديسمبر ١٩٤٢). وأخيراً حرصوا على التأثير على البيت الأبيض لتوجيه السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط. (١٩٤٧/١١/٢٩) أعطت هيئة الأمم بقرارها شرعية الوجود للدولة اليهودية على ٥٦٪ من أرض فلسطين..(١٩٤٨/٥/١٥) دخلت الجيوش الغربية فلسطين ونشأت ثلاث منظمات فلسطينية مقاتلة هي الجهاد المقدس وجيش الإنقاذ واللجان القومية الفلسطينية.. وعين الحسيني قائداً لمنظمة الجهاد المقدس، وخيضت معارك كبرى في مواجهة قوات اليهود (الهاغاناه والأرغون وشتيرن) وهم متفوقون عدداً على القوات الفلسطينية بنسبة ٧: ١، وسلاحاً، وتدريباً مع تيسير بريطانيا لليهود التمركز الإستراتيجي قبل انسحابها. بالإضافة لفوضى التحرك العربي العسكري وعشوائيته.. وانتصر اليهود ونشروا الرعب بين سكان القرى وبدأ النزوح الفلسطيني الكبير (مليون لاجئ).. استولت إسرائيل على ٧٧,٤٠ ٪ من الأرض الفلسطينية.. هنا أصبحت قضية فلسطين بالنسبة للعالم قضية لاجئين لا قضية شعب وإحتلال.. ١٩٥٠ برزت أعمال قتالية صغيرة من غزة وسورية والضفة الغربية في شكل حرب عصابات صغيرة.. واجهتها إسرائيل بقسوة وصبت جام غضبها على مناطق انطلاقهما.. ١٩٥٤ مصر بدأت بدعم



المقاومة والإشراف على تأسيس وتدريب هذه القوات واستمر ذلك سنة ١٩٥٥.. وبعد ١٩٥٦ ظهر المشروع الناصري بطموحاته وتم تأميم القناة (١٩٥٦/٧/٢٦).. وردت إسرائيل على مصر بحرب ١٩٥٦، واستمرت في التوسع فأخذت غزة، وسيناء، وشرم الشيخ، وجزيرة تيران، ثم غادرتها مع ضمان مرور سفنها من ميناء العقبة والوصول لميناء إيلات.. ١٩٦٤ قامت منظمة التحرير الفلسطينية وانطلقت المقاومة المسلحة ١٩٦٥.. بعد أن نشطت فكرة إنشاء منظمات فلسطينية ابتداءً من الجبهة الشعبية ١٩٥٧ بين ما عرف بعرب إسرائيل في الداخل وفي الخارج أو أرض الشتات الفلسطيني بدأت فتح صحيفتها الأولى (فلسطيننا) في بيروت ١٩٥٩، وجبهة تحرير فلسطين والاتّحادات المختلفة مثل الطلبة والعمال والمرأة.. وظهر ما سمي «قيادة إقليم فلسطين» في حركة القوميين العرب وكونوا منظمة «شباب الثأر» وخرج خطان: خط يريد جيوشاً نظامية، وخط يريد حركة مقاومة شعبية اقتداءً بالجزائر.

بدأت الدول العربية في بلورة فكرة منظمة جامعة للشعب الفلسطيني، وعين الشقيري مندوباً لفلسطين في الجامعة العربية. وبالتالي مهد الطريق لقيام منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٦٤، رداً على قول إسرائيل إنه لا وجود للشعب الفلسطيني.. ١٩٦٥ أعلنت المنظمة المقاومة المسلحة.. ١٩٦٧ إسرائيل تنتصر على مصر وتحتل سيناء والجولان، وبعدها حدثت سلسلة كبرى من القرارت الإستراتيجية العربية الواعدة التي لم تجد طريقها للتنفيذ؟ وأصبح لمنظمة التحرير جهازاً عسكرياً باسم «العاصفة»، وأعلن عن أول عملياته ٢٨/يناير/١٩٦٥ وعبر عن نفسه بقوله بأنها «بداية لحرب تحرير ذات منهج مخطط ومدروس» وفي رسالة للعاصفة للزعماء العرب في القمة العربية الثالثة سبتمبر ١٩٦٥ قالت «الإيمان الجازم بأن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، وأن مادة هذا الكفاح هي الشعب العربي بأسره، وأن الشعب الفلسطيني هو رأس الحربة، ومن هنا مسؤوليته في شق طريق الكفاح أمام الجماهير العربية ومواصلة القتال حتى النصر».

» هكذا وضع أول عمل فلسطيني رسمي مسلح تصوره:

» هو الحل الوحيد.

- المشروع يقوم على الشعب العربي.
- الشعب الفلسطيني هو رأس الحربة في المشروع.
- وظيفته شق الطريق حتى يكمل العرب المشروع.



بعد هزيمة ١٩٦٧، صدر قرار الامم المتحدة٢٤٢ في ٢٢/نوفمبر/١٩٦٧ حين أصبحت إسرائيل تحتل كامل فلسطين مضافاً لها سيناء والجولان، وانفسح الفضاء للعمل المدني المقاوم داخل فلسطين، وللعمل العسكري الفلسطيني المقاوم من خارج فلسطين.. واستقطب العمل الجماهير الفلسطينية وتعددت أسماء المنظمات الفلسطينية ومدخلاتها الأيديولوجية، وحافظ الجميع على عنوان منظمة التحرير الفلسطينية، وتغيرت قيادتها(١٩٦٧/١٢/٢٤) وأصدرت أول بياناتها وحددت مهمتها بخمس نقاط:

- قيام مجلس تتمثل فيه إرادة الشعب تنبثق منه قيادة جماعية مسؤوله.
- توحيد النضال المسلح وتصعيده.
- تحقيق الوحدة الوطنية.
- تعبئة الجهود القومية.
- تطوير أجهزة المنظمة.

٢١/٣/١٩٦٨ إسرائيل تشن هجوماً صاعقاً على منطقة الكرامة في غور الأردن الشرقي وتشتبك مع الفدائيين الفلسطينيين والجيش الأردني.. وانتصرت إرادة المقاومين وبرز نجم ياسر عرفات ومنظمة فتح، وشهدت القضية الفلسطينية رواجاً ودعماً منقطع النظير. واستمرت إسرائيل في التوسع الاستيطاني بشكل مكثف وتهويد القدس.

لم يتحمل الأردن الوجود العسكري الفلسطيني على أرضه **فنشبت أحداث أيلول (سبتمبر ١٩٧٠) وتم إنهاء المقاومة الفلسطينية من الأردن تماما صيف عام ١٩٧١.** هكذا انتهى شهر العسل، وفقدت الساحة جمال عبدالناصر، وجدد وقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل، وانتقلت الفصائل الفلسطينية إلى لبنان وانتقل بعضها كأيلول الأسود للعمل السري والاغتيالات.

استمرت إسرائيل في مطاردة المنظمات وشن غارات على لبنان، ونفذت عملية نوعية في بيروت حيث اغتيل قادة كبار من المنظمة ١٠ / ١٩٧٣/٤. وبدأ صوت لبناني يطالب بتوقف العمل الفدائي من لبنان، وانفجر الوضع في ٥/٢ ١٩٧٣ وقصف سلاح الجو اللبناني المخيمات الفلسطينية.. وبعد تطويق الأزمة انتشرت عمليات فلسطينية



دولية، تمثلت في الاغتيالات واختطاف الطائرات وعمليات الرهائن وعمليات ضد الممرات المائية.. ومن اشهر العمليات عملية ميونخ ضد اللاعبين الإسرائيلين. وكانت إسرائيل ترد باستمرار بضرب لبنان.

وجاءت حرب ١٩٧٣ كحرب تحريك بهدف كسر الجمود الذي ران على الموقف، وهنا تصاعد خط كان قد برز مبكراً ولكنه قمع، بضرورة ايجاد حل سلمي للقضية الفلسطينية.. وبرز موضوع أن الممثل الشرعي والوحيد للفلسطينيين هو منظمة التحرير الفلسطينية. وأصبحت المنظمة مراقباً في الأمم المتحدة وتكلم ياسر عرفات من على منبر الأمم المتحدة ١٩٧٤/١١/١٣. وأصبحت هناك حاجة لخطاب العالم بلغة جديدة محورها السلام العادل، فانشرخت الجهود الفلسطينية بين مؤيد ومعارض، وبرزت جبهة القوى الفلسطينية الرافضة للحلول، التي أطلقت عليها الحلول «الاستسلامية».

بدأت مصر بالتغير على يد السادات، وبجهود كسينجر تدهورت العلاقات مع الاتحاد السوفييتي وعقدت اتفاقيات فصل القوات وانهار نظام التعاون العربي.

وشنت اسرائيل هجماتها على لبنان ١٩٧٤-٧٥ وانقسمت الساحة اللبنانية حول الوجود الفلسطيني وفي الفترة بين ١٩٧٥-٧٦ تزايد العمل الفلسطيني ضد إسرائيل.. ١٩٧٨ اجتاحت إسرائيل الجنوب اللبناني (عملية الليطاني)، وتوقفت الحرب وفصلت القوات.. لكن الأعمال العسكرية الإسرائيلية لم تتوقف ضد لبنان، فاقم ذلك توتر العلاقات بين لبنان والفلسطينيين.

زار السادات القدس نوفمبر ١٩٧٧ وطرح رأيه: «أنتم تريدون العيش معنا في هذه المنطقة من العالم، وأنا أقول لكم بكل الإخلاص أننا نرحب بكم بيننا بكل الأمن والأمان».. وعبر عن القضية الفلسطينية بقول «السلام لا يمكن أن يتحقق من دون الفلسطينيين» وانتهى المشهد بأكبر تحول تاريخي في النزاع وهو إتفاقيات كامب ديفيد ١٧ سبتمبر/١٩٧٨ ونصت على أن تعطى غزة والضفة حكماً ذاتياً لمدة خمس سنين ثم ينظر فيها.

رفض العرب وقاطعوا، ورفض الفلسطينيون وقاطعوا، ولكن الأمور كانت تسير مع ميزان القوة الذي فرضته إسرائيل وأمريكا والعجز العربي.. وجاء العدوان

الإسرائيلي على لبنان ١٩٨٢ ودمرت المخيمات والقرى اللبنانية، وقسم كبير من قوات منظمة التحرير الفلسطينية.. وأصبحت دمشق في مرمى القوات الإسرائيلية مع تدمير القدرات العسكرية السورية.. وحوصرت بيروت وتم تغيير خارطة الصراع في لبنان، وخرجت منظمة التحرير للشتات وانتقلت لتونس.

هكذا يبدأ مشهد جديد يتبلور في منظمة التحرير الفلسطينية، وبعد مسار رافض للحلول السياسية انتهى بالمنظمة وقيادتها في تونس ولفصائلها في الشتات وللدول العربية بالإقرار بواقع التفوق الإسرائيلي الغربي، وبالعجز العربي.. ومع المنظمة سارت الجامعة العربية، وتقدمت بمبادراتها للسلام الشامل مع اسرائيل والتي رفضتها.. وبدأ الجميع فكرة تغيير المسار من الكفاح المسلح إلى فكرة البحث عن دولة في الضفة وغزة.

وبقية القصة مشهورة ومعروفة.. فالمنظمة قبلت بفكرة السلام وبفكرة الدولتين ووقعت اتفاقيات أوسلو، وعادت للضفة والقطاع لبدء فصل جديد من الصراع الفلسطيني - الفلسطيني حول فكرة الحل العسكري، ولكن هذه المرة بصبغة إسلامية.. وبرزت حماس للمشهد وبدأت تجربتها الخاصة وبأحلام عبرت عنها في برامجها:

» تحرير فلسطين من البحر إلى النهر.

» الجهاد هو الحل.

» فلسطين قضية إسلامية.

وكبرت حماس مع كل إخفاق في مسار التفاوض الذي تقوده المنظمة، وإزدادت شعبيتها.. ومع التوسع في الحجم والتنافس مع فتح التي احتلت بحجمها فضاء منظمة التحرير، أصبح هناك خطان ومشروعان وقيادتان ورؤيتان: خط لا يرى حلاً إلا بالتفاوض، وخط لا يرى حلاً إلا بالقتال، فأين وصل الخطان؟.

المشروع الجهادي الذي اختطته حماس قرر أن يدخل في العملية السياسية الفلسطينية المؤسسة على قاعدة أوسلو دون الالتزام بتبعاتها.. ومن برنامجها الانتخابي حينها يتضح نمط التفكير لدى حماس:

» حماس ستعزز من الوحدة الوطنية.

» حماس ستخفف عن شعبها المعاناة.

وفازت حماس ببرنامجها الطموح، ولكن موضوع الوحدة الوطنية كان مستحيل التحقيق في ظل ذلك الانقسام العميق بين الرؤيتين (العمل المسلح / العمل التفاوضي) - (شروط المقاومة/ شروط اوسلو).. فانقسم الشعب الفلسطيني فيه ميدانياً وجغرافياً. ونشأ كيانان مفصولان وعلى قاعدتين مختلفتين من المفاهيم والتصورات، وأصبحت لغة التعبير عن الخلاف معبرة عن عمقه، فهو ليس خلاف سياسي حول رؤية سياسية، بل هو خلاف (الحق/الباطل)، (الكفر/ الإيمان)، (الوطنية / العمالة). وعندما يصل الخلاف إلى هذه اللغة فالمسافة تصبح كبيرة على التحول ما لم تحدث ظروف تغير هذه المعادلة واللغة.



أما موضوع التخفيف من المعاناة فلم يكن متوقعاً بطبيعة الحال، فمعاناة الشعب الفلسطيني كان جوهرها الاحتلال.. فالاقتصاد والحركة والمعابر كل ذلك مرهون بيد الاحتلال، ولم يكن متوقعاً منه أن يخفف الضغوط على حماس ومنطقتها ومنطقها، في حين لم يخففه على من هو دونها في الأطروحة وهو منظمة التحرير الفلسطينية. وهكذا انتقلت حماس من حركة مقاومة إلى حركة وسيطة بين مشروع المقاومة ومشروع الدولة، والمشروعان لهما متطلبات مختلفة.. ففكرة الدولة تعني

الطعام والكساء والتعليم والبناء والأمان، لمليون ونصف من سكان القطاع وهو عبء كبير وهي تقتضي نوعاً من التهدئة مع إسرائيل، وفكرة المقاومة تستدعي فكرة التصعيد والإقلاق.. والنتيجة تغلب منطق الدولة على منطق المقاومة على أرض الواقع حتى الآن.

ولكن ماذا حدث لمشروع التفاوض والسلام، أو حل الدولتين الذي راهن عليه فريق أوسلو كحل وحيد للتحدي الإسرائيلي وعلى ماذا قام ووفق أي مسلمات انطلق؟

» تجربة منظمة التحرير الفلسطينية الطويلة مع الكفاح المسلح لم تنتج إقتراباً من الهدف، ولكنها انتهت نهايات محزنة بأن أصبح الجسم القيادي بعيداً جداً عن أرض فلسطين.

» المشروع العربي الذي كان المعول عليه إستراتيجياً تآكل بالاتفاقيات مع الكيان الصهيوني، والمستقبل لا يبدو في صالحه في قراءة المفاوض الفلسطيني.

» المشروع الصهيوني مستمر في قضم الأرض وتهويدها وقد لا يبقى شئ للحديث عنه لاحقاً.

» وجوب إعادة التمركز داخل فلسطين بأي ثمن، فمنها يمكن الحديث والعمل والمطالبة.

» وفي فترة ياسر عرفات كان يعتقد أنه يحتاج لذراع التفاوض، ويحتاج معها لذراع مقاومة تحت التصرف حتى تسير المفاوضات، وبالتالي استخدم كل صنوف المناورة لاستبقاء ورقة المقاومة في يده.

وأدرك الطرف الصهيوني أن عرفات غير مستعد للتفريط بهذه الورقة تحت أي ظرف، فانتهى بحصاره ثم باستشهاده، ليخلفه طرف له رؤية أحادية تقوم على أن المفاوض الفلسطيني يلزم أن يذهب بورقة واحدة هي المطالب، وأن أي ورقة أخرى مخفية ستواجه ذات المصير الذي لقيه ياسر عرفات. وبالتالي يجب الموافقة على كل المشروع الإسرائيلي واشتراطاته المتعلقة بالشق الأمني و بكل مستحقاته، ومنها تسليم المقاومين ووضع كل الكيان الجديد تحت الرقابة المباشرة للرباعية الدولية، لإعطاء شهادة حسن سيرة وسلوك للكيان الفلسطيني يؤهله لقبض المعونات المقررة

له من قبل المانحين..ولم تنجح كل عمليات الخضوع لتحقيق أي تقدم مع المشروع الإسرائيلي الذي استمر في التوسع والتهويد كأن شيئاً لم يحدث.

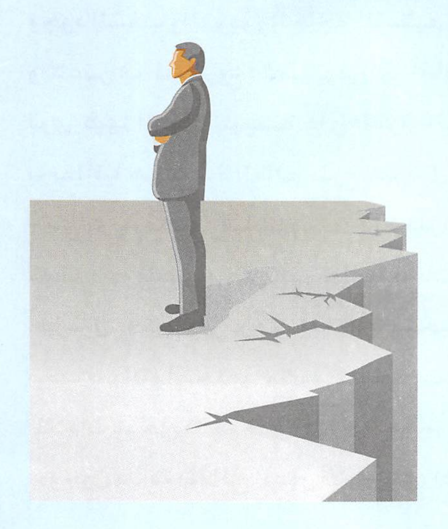
وبعد كل هذه الرحلة الواسعة في الملف الفلسطيني عبر تاريخه الطويل نعود لواقع اليوم.

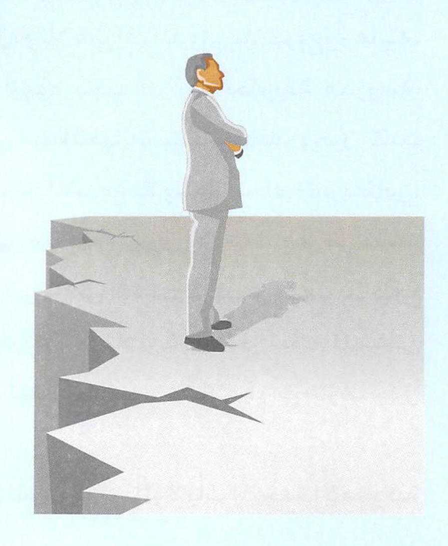
هناك مشروعان للحل، ولكل منهما رهاناته التي يحاول أن ينميها، ولكنهما يعكسان صعوبة التحدي الذي تواجهه القضية الفلسطينية، وبالتالي المشروع العربي في التقدم للمستقبل.

موقف مشروع التفاوض

يشهد مشروع التفاوض انسداداً شبه تام. فالطرف الفلسطيني يتحرك خارج طاولة التفاوض على أمل ايجاد نقاط ارتكاز جديدة وأوراق جديدة للعب، ومنها اتجه المشروع للأمم المتحدة لطلب الاعتراف بالدولة الفلسطينية وحل الدولتين، مدعوماً بالنظام العربي الذي يريد هو أيضاً أن يجد هامشاً للمناورة للخروج من حالة العجز.

ولكن لو تجاوزنا الانسداد في مسار المقاومة المسلحة والانسداد في مسار التفاوض لعمق المعادلة بدل النظر للنتائج المباشرة والمرئية، لرأينا أنفسنا أمام معادلة القوة





بجوانبها الثلاثة:

- » العسكر.
- » المال.
- » الإعلام.

ومكملاتها وتفاصيلها

إسرائيـــــل

نظرة واحدة للقرن التاسع عشر ستنبؤنا بأنه عصر الروح القومية التي سرت في كل دوله وشعوبه، ولم يكن غريباً أن يصاب اليهود بذات العدوى المنتشرة، ولكن الأمر المستغرب هو أن فكرة جمع اليهود في أرض فلسطين هي ضد تعاليم التوراة!.. ومن طرح الفكرة كانوا مجموعة من الملاحدة بالنسبة لليهود المتدينين، ولكن الفكرة مرت بسلام واتفق الفريقان على إقامة دولة اسرائيل إلا مجموعات صغيرة ما زالت تقاوم الفكرة حتى الآن.

وبرغم ذلك... تمتع المشروع الصهيوني منذ البدء بفهمه العميق لمتطلبات قيام الدولة الإسرائيلية، وقرر أسلوب التمركز المناسب وعبر «هرتزل» عن المتطلبات بأنها وجود الشعب والهوية والحاجة للتنظيم والمال، وللاعتراف الدولي بالمشروع ورعايته. والاعتراف بالمشروع الصهيوني أو أماني اليهود يجب أن يتم بطريقة مدروسة، ترى فيها القوى المهيمنة على القرار الدولي مصالحها المستقبلية فيه. وحين كانت بريطانيا هي سيدة العالم طرح «هرتزل» تمركز المشروع في وسط الحلم البريطاني، الذي يريد مصر وقناتها وضمان سيطرته على منطقة الشرق الاوسط.وعرض نفسه كمشروع وظيفي متقدم لبريطانيا وخلاص لأوربا من المشكل اليهودي فيها، بل طرح «هرتزل» فكرة تقربه من أحلام المسيحية الغربية.. فملاذات العالم العالم المسيحي يجب صيانتهابتحديد مكانة إقليمية إضافية لها... «علينا أن نشكل حرس شرف حول الملاذات ووجودنا سيحقق هذا الواجب».

وحين بدأت طلائع الدور الأمريكي، انتقل المشروع إلى الولايات المتحدة الأمريكية

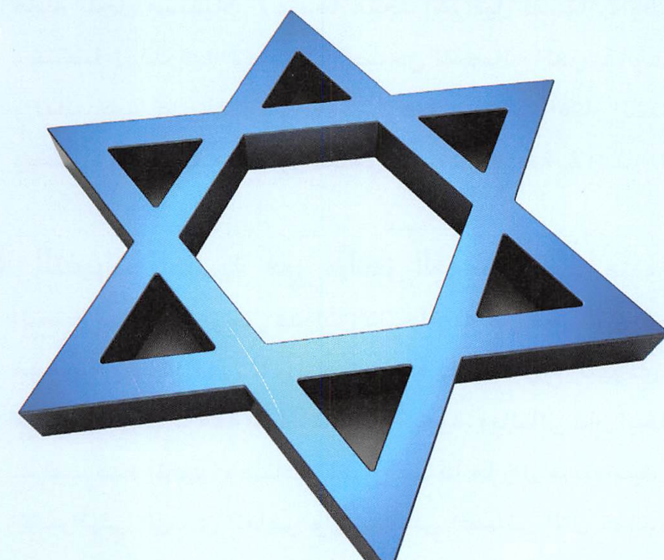
ليضع قدمه على الإعلام والدوائر الأكاديمية ومجلسي الشيوخ والكونجرس والبيت الأبيض، أو في أهم مفاصل المجتمع الأمريكي الناشئ. ها هو المشروع يرى أنه لن يمر في فراغ وأنه يحتاج للمرور من خلال أحلام ومطالب القوى التي تشكل العالم الحقيقي حينها.

الاعتماد على القوة الذاتية على الأرض التي تسمح له بتحمل الضغوط وكسر الخطوط التي قد ترسم لهم مقابل هذه القوى في المستقبل، وبحسن إدارة الملفات المشتبكة معها بحيث يحقق المشروع اهدافه. وسنرى ذلك واضحاً في قدرة المشروع في فترة الحكم البريطاني على أن ينمي قدراته على الأرض، وأن يصطدم بالمشروع البريطاني بشكل صلب في فترات التأزم، وأن يصطدم بمحيطه العربي في اي جولات صراعية، بقوة مدمرة وتكنولوجيا متقدمة وقدرات قتالية عالية.

ترتيب الوضع السياسي الداخلي للقوى المتنافرة في إسرائيل حول المصلحة القومية، والاستفادة من اختلاف الرؤى لمزيد من قوة المشروع وعدم تحويلها لنقطة ضعف واختراق.

تنمية كوادر عندها حس عالٍ في المناورة عالي، تستطيع أن تحافظ على الخطوط الاستراتيجية والتقدم دون اصطدام بالعالم في قطيعة.

تنظيم أدوار اليهود في العالم بحيث تعمل في تناغم يوفر الحماية لإسرائيل، ويقود مشروعها المالي والإعلامي والسياسي في الخارج.



الوعي بالتحديات الكبرى التي يواجهها المشروع الصهيوني

التحدي الديموغرافي: تشكل معضلة التفوق العددي العربي الكلي والنمو السكاني الفلسطيني هاجساً كبيراً لدى الفكر الصهيوني، وليس من الغريب استخدام مصطلح «القنبلة السكانية».. ومن هنا تأتي عملية الحديث عن يهودية الدولة وضرورة الاعتراف بذلك كفعل استباقي لمقتضيات الوضع الديموغرافي في المستقبلي وتطوراته. تحدي الجغرافيا المباشر: لا تمتلك إسرائيل عمقاً استراتيجياً عسكرياً يسمح لها بتأمين منشآتها أو مدنها، وبالتالي فكل شبر من الأرض تفقده يعني لها الكثير، وبالتالي فالمحافظة على مرتفعات الجولان وعمق معتبر في سيناء ومناطق حاجز من قبل الأردن، كلها شروط وجود لصانع القرار الإسرائيلي. والعمق الإسرائيلي يزداد انكشافا بالبدائل التكنولوجية قليلة التكلفة مثل الصواريخ التي استخدمت في حرب ٢٠٠٦.

تحدي المحيط الاقليمي: الوضع العربي والتركي والإيراني يشكل مثلث الرعب لإسرائيل، وخلافات اليوم أو التخلف التكنولوجي أو نقص الإرادة، كلها قضايا قابلة للحل مستقبلاً. وعندها ستجد إسرائيل نفسها في وضع استراتيجي ضعيف وستتضاءل قدرتها التسويقية كضامن للمصالح الغربية، وستصبح بحساب التكلفة والعائد عبئاً على المشروع الغربي. وهذا ما يفسر أفكار التسلح النووي وما يفوقه، ويفسر محاولة كبح التطور العلمي الإيراني خاصة في المسار النووي وتفرعاته.

التغيرات العالمية في مراكز القوة: فالغرب متفوق حالياً من الناحية التقنية والمعرفية، ولكن قدرات الإلتحاق به من قبل قوى عملاقة كالصين والهند موجودة، وهذه القوى لا زالت متحفظة على المشروع اليهودي وإن كانت تتعاطى معه مصلحياً، ووقعت معه اتفاقات استراتيجية، وبالتالي فإن إيجاد حلول لآلية التمركز في قلب هذه القوى وصناعة القرار عندها ما زال مستعصياً، وهو ما يفسر التعاون الإسرائيلي الهندي العلمي والإسرائيلي الصيني الآن كمقدمات للتعاطي مع هذه القوى الصاعدة.

التطورات المتلاحقة: تشير التطورات المتلاحقة في العالم العربي والغربي إلى أن عنصر الاستقرار في المعادلة الخارجية منخفض، وبالتالي فالربيع العربي والأزمة الاقتصادية العاصفة في الغرب والتواصل الإعلامي العالمي ووجود منافسة إعلامية حقيقية، تنفذ للمعاقل التقليدية للغرب وللعقل الإسرائيلي أيضا، وتشكل تهديداً كبيراً على تغير صورة إسرائيل في العالم، ومدى الدعم الذي تجده، وعلى تغير آلية اتخاذ القرار العربي والغربي، وهو ما يهدد قدرة صانع القرار الإسرائيلي في التحكم في صناعة القرار.

وبالتالي حين يجيب المشروع العربي عن قضية فلسطين يحتاج أن يحدد أهميتها:

قضية فلسطين قضية تتعلق بعمق الوجدان العربي والإسلامي، وهي حاضرة في مصالح العالم العربي الاستراتيجية، وحاضرة في تعارضها مع بسائط المشروع الغربي، وسيطرته على عمقه الاستراتيجي والمتمثل في منطقة القلب، بلاد الشام والعراق



ومصر، وبالتالي فاستعادة فلسطين بصيغة تجرد الوجود الصهيوني من قدرته على وأد الحلم العربي هو ضرورة وجود للمشروع العربي. أما بالنسبة للمشاريع القُطْرِية فقضية الوجود الصهيوني ستمثل عامل قلق تنموي واستنزاف لطاقات المجتمعات، وانقسامات وتوترات وتهديد لاستقلال القرار في المستقبل المنظور قبل البعيد.

الدور الفلسطيني اليوم

تكاد تجمع الأوساط الفلسطينية منذ اندلاع الثورة الفلسطينية أن قضية فلسطين هي بنت التخلف العربي وانعكاس له. بمعنى أنه لو كان للعرب حضور في التاريخ، ما كان من الممكن أن يتم احتلال كامل الوطن العربي من قبل الحلفاء واقتسامه وتوطين اليهود فيه.

والتخلف العربي في جوهره مركب من مجموعة خطوط تاريخية كبرى ليس هذا مجال بسطها، ولكنها تشمل منظومات مركبة تحتاج للعمل عليها بالتوازي:

عالم الأفكار العميقة والمُعيقة: كالنظرة للكون وعالم السببية وعمل الإنسان وطبيعة الأشياء وانتشار أفكار الجبر ومنها الفكر السياسي، والنظرة لدور الإنسان الفرد ودور النظام.. فالعقل العربي يعلي من شأن الصلاح الفردي على حساب صلاح النظام، أو يعوض بالصلاح الفردي وتضخيم دوره على حساب صلاح النظام.. كما أن العقل العربي لم ينتج عقلاً يهتم بالكليات، وساد فيه منطق الجزئيات، وبالتالي تأثرت كل أوجه التفكير السياسي والاقتصادي والاجتماعي بهذه المشاكل الكبرى، وانعكست على عالم اليوم.

هذه الأفكار العميقة أنشأت علاقة بالعلم مختلة لم تنجح المدارس الحديثة في إزالة الالتباس العميق الذي خلقته، وبالتالي هناك معركة كبرى في صناعة وعي جديد.

وهناك عالم العلاقات البينية العربية وتجاذباتها واختلافاتها وصراعاتها، واختلاف نظرتها لعلاقة سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات أو الأحزاب أو الجماعات أو الحكومات في مسائل استراتيجية كبرى، تخص الأمن القومي والنسيج



الوطني وتشكل تهديدات وجودية، وبالتالي هناك معركة كبرى في إصلاح عالم العلاقات المضطربة.

وهناك عالم المشاريع المختلة، فالصناعة والزراعة والتعليم والخدمات وكل ما هو استراتيجي للأمة نعتمد فيه على الآخر. وبالتالي فالقرار العربي مرهون بشكل استراتيجي لمن يمتلكون هذه المقدرات، وتحرير العالم العربي مشكلة المشاريع الاستراتيجية.

الدور العربـي اليـوم

فالدور العربي اليوم هو الإطار والرافعة للدور الفلسطيني وبالتالي هو المسؤول عن علاج أوجه القصور الكبرى في المشروع العربي.

اعتبار العنصر الاقليمي:

والدور العربي يسبح في محيط إقليمي معقد، وبالتالي يجب أن يضبط إيقاعه وخطابه بحذر بحيث يقلل من العوائق أمام تقدمه.



اعتبار العنصرالدولي:

والعالم العربي بسبب خطورته الاستراتيجية الكبرى في السياسة الدولية، يحتاج أن يضبط علاقاته الدولية وفق مسطرة دقيقة تقلل العقبات أمامه في سبيل التقدم.

اعتبار العنصر المتحول في القوى القادمة:

العالم في حالة تحول، وبالتالي يجب على العالم العربي أن يضع له محط أقدام في

فضاءات القوى القادمة: تركيا وإيران إقليمياً، والصين وروسيا وأندونيسيا آسيوياً، والبرازيل والمكسيك أمريكياً، وأن ينظم خارطة احتياجاته المستقبلية وفق نظرة جديدة للعالم.

وبناء عليه، فالطموح الفلسطيني يمر عبر متطلبات عربية كبرى لاستعادة الميزان الاستراتيجي، ولكنه في نفس الوقت يستطيع أن يقوم بدور كبير في فضاء حفظ القضية الفلسطينية وصيانتها وبقائها في نقطة الاهتمام الإنساني والدولي. ويمكن تخيّل آفاق الدور الفلسطيني في أقصى درجاته يتمحور حول ثلاث مساحات:

١ - مساحة الفعل الناعم وهو استبقاء القضية الفلسطينية حاضرة في الوجدان العالمي في بعدها السياسي والاجتماعي والتاريخي والإنساني القيمي، وهو موضوع في غاية الأهمية لوضع أرضية للفعل الفلسطيني المقاوم.

٢ - مساحة البيت الفلسطيني وتنظيم القوة الفلسطينية المبعثرة سياسياً وجغرافياً في شكل اوركسترا متناغمة تعزف مقطوعة واحدة.. فمشروع الوحدة الفلسطينية هو أهم المشاريع الراعية للمشروع الفلسطيني، وهو يتناول منظومات الأفكار المجمعة والعلاقات البينية ونظام صيانتها ونظام المشاريع القومية الفلسطينية ورعايتها، فأخطر الفيروسات في مرحلة الصراع الوطني هو فيروس الانقسام.

٣ - مساحة حصار العدو وإيقاف امتداده، وهو مشروع لا يتم إلا بتنظيم مقدمات المشروع الفكري الفلسطيني، وتنظيم المطالب الفلسطينية والعمل المشترك في مساحة الممكن.. ثم تنظيم عالم العلاقات وعالم المشاريع الفلسطينية، وإعادة ترتيب الخطاب الفلسطيني مع ملاحظة أن الممكن هو ابن نظام القوة وتطوره.. فكل تطور في القوة العربية والفلسطينية سيفتح فضاء لممكن جديد يحرك القضية الوجودية الفلسطينية للأمام.

وفي مقابل التحديات سنجد أنفسنا أمام فرص كبرى

لقد أشرنا في مزايا الوطن العربي إلى ممكنات كبرى يتمتع بها الوطن العربي، مثل: الأرض والعمق الاستراتيجي والكثافة السكانية والتنوع في مناخه والتنوع في قابلياته. وهنا سنشير لأهم الحلقات التي تقول أن حلم التحول ممكن وتدعم وجوده.. ولننظر لأهم هذه القضايا:

مفهوم الدولة الوطنية القانوني:

من المعلوم اليوم أن الدولة الوطنية قانونياً تمتلك السيادة على أرضها وشعبها، وإن كان يقابل ذلك المفهوم العملي للسيادة ونظرية الحدود الشفافة، ولكن هامش الحركة ما زال واسعاً للفعل المستقل، وكلما كان وعي القيادة أكبر بالوضع الدولي وبمتطلبات التعامل معه، كلما إزداد هذا الهامش واتسع.. والقيادة التي تفشل في ملء الهامش الممكن وتحتج بالجزء غير الممكن، تكون هي التي اختارت الفشل وفرضته على مجتمعها.

علاقة الوطن العربي بالعالم:

يتمتع العالم العربي بعلاقات حسنة مع المحيط الإقليمي والعالمي وهو قادر على توسيع مساحة التفاهم والصداقات باستمرار على قاعدة المصالح المشتركة.

وجود النماذج التنموية في محيطة:

التجارب الموجبة سواءً كان هذا المحيط إقليميا أو قاريا أو عالميا، تمثل تمهيداً لطريق العمل والتفكير للدخول في التنافسية العالمية، وهي متوفرة بكم كبير.

إمتلاك الدول الاسلامية لمفردات التقدم العلمي:

باكستان وماليزيا وتركيا وايران وأندونيسيا وبعض مناطق الوطن العربي، لها تجارب مميزة تمتد من مجالات صعبة مثل الصناعات الثقيلة مروراً بالصناعات

المتوسطة والخفيفة. فمن خبرة باكستان النووية مروراً بخبرة ماليزيا وتركيا في الصناعات الثقيلة والمعلوماتية، إلى الصناعات والبحوث البتروكيميائية.. كما أن ٩٠٪ من المعارف الضرورية للتقدم هي معارف مشاعة لا تحتاج إلا لإرادة. والتصنيع اليوم له استراتيجيات كبرى، فهو لا يبدأ من الصفر بل يبدأ من حيث انتهى الناس، وطرق التعلم عبر الهندسة العكسية متاحة في العالم كله.

والسؤال هل هذا يكفي ؟ بالقطع هذا كاف لمن له إرادة واضعاف ذلك غير كاف لمن لا يمتلك الإرادة.

السياســـات

تلعب السياسات الكبرى أهم الأدوار في حفظ المشاريع النهضوية من الانزلاق لصراعات مبكرة أو الانحراف عن المسار، أو التوقف عن استكمال الطريق. وهي الآفات الكبرى التي تصيب المشاريع الواعدة.

والسياسات قيود على الفعل لضمان سلامة النجاح والوصول إلى الهدف بأقل كلفة، وفي أقصر زمن وبأفضل المواصفات.

وسياسات الدول الداخلية للتنمية لابد أن تواكبها سياسات خارجية ناجعة، تكون امتداداً للسياسات الداخلية ومتطلباتها.

الحركة والتنفيذ

ليس المهم أن تكون هناك خطة رائعة، لكن المهم هم البشر الذين سينقلونها للواقع.. فالخطط المتوسطة إن وجدت منفذين أقوياء تؤتي أكلها والعكس صحيح.

والإنسان العربي هو هدف التنمية وهو أداتها، وبالتالي فرعاية الإنسان روحاً وعقلاً وجسداً وتطوير ممكناته متطلب أعلى من متطلبات تحقيق الأحلام.

تجارب الأمم في التنمية البشرية اليوم تغني عن الكثير من التجارب.. وكل أمة ناهضة تكمن عبقريتها في استيعاب غيرها ووضع مخططاتها التي تناسبها.

المحاسبة الصارمة

مصائر الأمم ليست أمراً هيناً، والمحافظة عليها تقع في قمة مهام الدولة الناهضة. والزمن والانجاز هما جوهر التقدم، وبالتالي فالتنفيذ الدقيق للبرامج والجرد الحقيقي الخالي من خداع الذات والشفافية في مقاربة الإخفاقات والنجاحات، هي جوهر تقدم الأمم في سباق الجودة والتحسين المستمر.

الخاتمة

لقد كانت الثورات العربية الكبرى المباركة روحاً جديداً يسري في الأمة، ونبضاً جديداً يصدع بالعزة والكرامة، وأملاً جديداً يكسر أسوار اليأس.

لقد تحركت المياه الراكدة، وتدفقت الدماء في شرايين ذلك الجسد الذي طال سكونه، وبدأ التفكير في المستقبل مبررا.

والثورات ليست هي المستقبل، ولكنها لحظة افتكاك لفرصة جديدة قابلة للاستثمار أو التفريط وجوهرها هو سلوك الثوار تجاه مجتمعاتهم ووعيهم وحكمتهم.

لقد ساهمت هذه الثورات في تطوير هذا الكتاب الذي بدأ كفكرة لنقل فكرة الجيوبوليتيك للشباب العربي. ثم تطور لمقاربة الحلم العربي. وبالتالي انتقل من الوصف المجرد إلى رسم صورة للمستقبل، ونحت بعض الخطوط في اتجاهه.هذا الكتاب بما حواه من صواب أو خطأ هو محاولة لبيان بعض مفاتيح صورة العالم وكيفية التحرك فيه.. ونعوذ بالله من الزلل والقصور والذي لا يسلم منه عمل. و الحمد لله رب العالمين

ملخص الفصل العاشر

إن قلب الأهداف التي يجب أن تسعى إليها المنطقة العربية هو ذات ما تسعى إليه دول العالم ذات الطموح اليوم، وهو ما تتميز به دول المركز الكوني في الغرب حتى الآن:

- إقتصاد متوازن زراعي صناعي خدمي.
- حكومات مركزية قوية وبيروقراطية عريقة وقوات مسلحة قادرة.
- مؤسسات اقتصادية كبيرة.
- عوائد ضريبية كبيرة لتمويل المشاريع والخدمات.
- تصنيع للبضائع وليس إنتاجاً للمواد الخام.
- تخصص في المعلومات والتمويل والصناعة الخدمية.
- الأسبقية في مجال التكنولوجيا الجديدة والصناعات الجديدة.
- برجوازية قوية وطبقة عاملة واسعة.
- علاقات استراتيجية متكافئة مع دول التأثير.
- استقلال في قراراتها يحصنها من النفوذ الأجنبي.

